ليلة فاصلة

عنوان الكتاب: ليلة فاصلة

الموضوع: مجموعة قصصية

التأليف: مجموعة مؤلفين

الإخراج الفنيّ: عمرو سالم سواح

تصميم الغلاف: فارس إيهاب

رقم الإيداع: ٢٦٢٩١ /٢٠١٩

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٣٥-١٧٧-٤

الناشر : زحمة كتاب بالتعاون مع اسكرايب للنشر والتوزيع

Facebook Page: اسكرايب للنشر والتوزيع

Email:scribe20199@gmail.com

Tel: 00201005079256

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار اسكرايب للنشر والتوزيع

كل الحقوق محفوظة

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

ليلة فاصلة

مجموعة قصصية

مجموعة مؤلفين

فهرس

خاطرة قد ضقت ذرعا ٩
شهد عمرى ٩
خيوط ١٠
آمنة ذاكر ١٠
ابتلاء.. ..... ١٧
شمعة الأمل ١٧
خداع المرايا.. ..... ٢٤
زينب محمد ٢٤
صندوق الحب ٣٤
إيناس مهنا ٣٤
أضغاث آلام ٤١
شهد سواكرى ٤١
الاميرة نور ٤٦
عائشة مكى ٤٦

على حافة الانتظار ٥١
شرين رضا ٥١
ورق أبيض ٥٤
اليعقوبى فدوى ٥٤
ممثل ٥٩
احمد جمال الدين رمضان ٥٩
مجرمة ٦٥
أحمد فؤاد الهادى ٦٥
لقاء بأثر رجعي ٦٨
سها يحيى محمد ٦٨
خاطرة امرأة مبعثرة ٧٢
اية مسلم ٧٢
لا تحبيني ٧٣
حسام الخطيب ٧٣
نمطية لامرأة نمطية ٧٩
هدى عبد المحسن عبد الهادي ٧٩

حقيقة اتلفها الزمن ٨٣
فاطمة ميري ٨٣
في معرض الكتاب ٩٠
آية أحمد إبراهيم ٩٠
زمردة ٩٧
مريم مبيتيل ٩٧
الخطيئة ٩٩
ذكرى محمد الكشياطى ٩٩
فلك ١٠٦
أحمد على أحمد محمد ١٠٦
سجينات الحرية ١١٢
منى نصيب ١١٢
خاطر ١١٤
نبيلة قطب ١١٤
قبل ان يسدل الستار ١١٥
محمد رزق شعبان ١١٥

بعضًا منه ١٢٠
شيماء جاد ١٢٠
اليقظة ١٢٨
دنيا علاء حسن ١٢٨
" سناجيبو والإنتقامُ المريع" ١٣٢
محمد العلوى الاسماعيلى ١٣٢
الصَخْرة ١٣٦
أحمد مهدى نعمة ١٣٦
ليلة فاصلة ١٤١
مروى عبدالله مدين ١٤١
خاطرة خزائن النسيان ١٤٨
امانى السيد العطار ١٤٨

خاطرة قد ضقت ذرعا

شهد عمرى

كفى..قد ضقت ذرعا بما لاقيته طوال عمرى من إيذاء

تعذبت كثيرا ولم أشكو..بل وقفت صامدة فى وجه الأفعال النكراء

روحا تضعف..جسدا يهزل..لا أملك سوى إيمانى والبكاء

حرمونى حقى فى الحياة..وأبادوا آدميتى..والظلم يعم الأجواء

تركوا أطلالا من حولى ..تركونى بلا زاد حتى أو ماء

تصرخ روحى مستنجدة..يكفى عذابا..وكفانى إبتلاء

وحوش الغابة لم ترحمنى..فهلموا وحوش البيداء

فلتزهق روحا لا ذنب لها سوى أنها إمرأة..ضعيفة بين النساء

ولأذهب إلى بارئى فأمثالى لا مكان لهم على الأرض بل مكاننا فى السماء

ولتطوف أرواحنا جميعا هناك.....ترتاح حقا بعد عناء

*****

خيوط

آمنة ذاكر

فجرٌ كصبار بائس يحيط بنافذة مت صحرة ، يخشى مدّ أطرافه واجتياز حدودها كي لا يوقظ ذاكرة الموت التي أبت النوم حتى جعلت من عينيّ فريستها بركتين غائرتين ، من كل مكان يطفح الحزن الداكن وينشب برأس الوقت دوار يشبه دوار البحر فيستيقظ الألم ليغطي كل شيء ويطبق على صدر النائمة مثل صخرة من نار، فتستيقظ كدمية قماش دبّت بها الروح بالتزامن مع دقاتْ الساعة الجدارية الست، فتحت عينيها المرتعبة ألقت نظرة سريعة على أجزاء الغرفة وتتأجج داخلها رغبة الحراك وإمساك علب الألوان المركونة على الرّف والشخبطة على جدران غرفتها البيضاء ، منذ الحادثة التي أصابتها وهي تمقتْ البياض و تعتبرته مقبرة الألوان.

دفعت بجسدها الهزيل نحو الوسائد الثلاث خلف رأسها كان ذلك في محاولة منها لتقويس ظهرها قليلا لكن ما أثار دهشتها هو سهولة التنفيذ ، فمطّت شفتها لتصبح شيئاً أشبه بابتسامة ، عادت لتسرح في العدم الذي كان يملأ كل شيء شعرتْ بأن علاقتها معه لربما ستأخذ شكلا مغايرا عما سبق ، بعد صراع مطول مع أفكارها العبثية ارادتْ التأكد من قدرتها على الحراك فأزاحت الستارة لآخر مدى ، حدقتْ بالأفق فبدا لها الشفق طفلُ يتأمل الوجود بحيرة ، تأملتْ القليل الذي تظهره النافذة من السماء فخُيل لها أنها تحمل غيومها كمراكب راسية وأنها نهرٌ لا يعرف منذ متى بدأ سيره أو إلى أين سيمضي ، حركت أصابعها

فشعرتْ بأنها ملفوفة بخيوط حريرية ناعمة هي ذات الأصابع التي خذلتها قبل سنوات ولم تنقذ إلا سلسالاً فضياً !

في تلك اللحظات المشوهة ظلت تراقب أصابعها وهي تندفع كمدٍّ هائج على جسدها ، ترقص على ساعديها وسيقانها حاولتْ تجنب لمس وجهها ، لكن لم يكن الخوف حاجزها هذه المرة فقد انصاعتْ للفضول الذي نهشها منذ عقد ونيف فاستقرت يدها على وجنتيها ثم ارتفعت قليلاً إلى محجر عينها ،لم تشعر بالحفر النارية ، ولا الخيوط وكأن الندبات لم تكن يوما هنا ... كانت تريد ان تقبض على ذكرى هاربة على أطراف غطائها فسحبته إلى صدرها وراحت تقلبه وتفتش عن الزاوية التي يغفو اسمها المطرز والزورق الصغير الذي يطفو منذ الأزل على طرفهِ رغم أنها لم تذهب يوما برحلة نهرية ولم تدرِ لمَ طرزت والدتها زورقاً على الغطاء إلا أنها تحبه ارتطمت أصابعها به لكنّ شراعه محترق ، كان مركبا عجوزا يشبه العالم بتجاعيده الكثيرة

مدّت ببطء قدميها نحو الأرض فشعرت بالبرودة ، بالصقيع الذي اختبأ تحت سريرها منذ الشتاء ، كل الأشياء باردة بعدما يطالها الزمن إلا حروقها تستمر بالاتقاد كل يوم ، كان البرد ينتقل عبر قدميها إلى قلبها شيئاً فشيئا يغمرها بالكامل لكنه لا يطفئ النار التي في أوردتها ، صارت تتحرك ، في الغرفة مثل طفلة تجرب السير لأول مرة والخيوط تنتشر حولها كمسرح دُمى ...

سمعت صوت موسيقى غريبة يرزح بؤساً حول النافذة كأنّ الرياح تجره إليها من بعيد شعرتْ بأعماقها أنها تنتمي لهذا الصوت ، تصعد أنفاسها مع وتيرته المتصاعدة كان اللحن يقترب أكثر فتضمحل هي وتندمج معه ، ارتعش صدرها وأصبحت مثل ظبي مذعور يختبئ تحت النافذة يجمع النوتات المتساقطة من جناح الوقت ، راحتْ تميل روحها مع اللحن وتحرك أصابعها على إطار الوجود المغبّر بالنسيان كمن يحتضن شيئاً لا يُرى، اصابتها حالة

من النشوة الغريبة ، نشوة حب ، قاطعها رنين الهاتف من شرودها فأجابتْ بشيء من الترقب والصمت سيما أن الرقم مجهول أصغت بانتباه للحروف التي ينطقها كان للمتصل صوتٌ شجن و متلعثم أحستْه قلقاً وخائفاً أعطاها عنواناً وطلب منها القدوم بسرعة ، لم تستغرب من صاحب الصوت كما أنها لم تحتج لخزن العنوان لأنها تعرفه مسبقاً !

اتجهتْ إلى خزانتها القبيحة نفسها التي يتعثر كل يوم بصرها ببابها المخلوع شعرت بأنّ الرفوف أكثر ارتفاعاً من

المسافة التي كانت قد قدرتها وهي مصلوبة على السرير ، فتشت عن ملابس غير التي عليها ، عن ملابس تناسب امرأة بالعشرين ، لكن لا فساتين رسمية ، لا حقائب يدْ من ماركات عالمية كما تمنت ، ولا أحذية بكعوب عالية ... لا شيء ، إلا ثلاثة صناديق قديمة محكمة القفل ، بعد أن فتحت أحدها وجدته للملابس لكنها محض ثياب محترقة وجدت بين كومة الرماد فستاناً ازرقاً بشريط اسود على الخصر والكثير من نقوش الورد على أكمامه ارتدته وهي تتساءل في نفسها كيف لاءم جسدها بينما كانت ترتديه وهي بالعاشرة من عمرها؟

تقدمت صوب المرآة التي كانت قد أحكمتْ إخفائها بالقماش حاولتْ أن تلقي نظرة على ملامحها بعدما ولدت من جديد لكنها عادت لجُبنها الأول وغلفتها بالمزيد من القطع المحترقة وزجت بها بعيدا.

خرجت من المنزل وهي تسحب روحها الغارقة بالأحلام ،امتدت سنابل من الخيوط لتوقف سيارة أجرة ، كان السائق يشبه شخصاً تعرفه ألفت ملامح عينيه الباكية وصوته البارد ولدغته بحرف الراء ، كان غريباً فلم ينبس ببنت شفة ، لم يزرع أي غيوم حانقة بدخان سجائره بسقف السيارة ، ولم يغلق النوافذ رغم المطر الذي كان يستمر بالنزول على وجهها ويبلل جسد المقعد الخلفي ، بينما استغرقت في مراقبته اندفعت الموسيقى ذاتها من الراديو

أحستْ بأنها وحدها من تسمعها لأن السائق لا يبدي أيّ رد فعل كما أنه استغرب من دهشتها وهي تصغي للحن بكامل إحساسها وتعود لحالة الاندماج مع النوتات مثل سُكر مرعب ! ، حركت نظراتها جانباً واستغرقت تحصي الشوارع المستمرة إلى لا ما نهاية والطرقات التي ولدتْ من رحم اللاشيء تقرأ العناوين الغريبة لمحلات الالبسة تقارن لون الطماطم على عربات الخضار بلون الندبات على كتفها ووجها تحول نظراتها إلى عجلات السيارات القريبة منها ثم تلمح النوارس كقبيلة مزدحمة فوق سماء النهر ، شعرتْ بأنها نوتة على سلم هذه المدينة الموسيقية .

وقفتْ السيارة أمام تفرع ضيق لا تدخله العجلات ، بمقدمته مدرسة قديمة سورها متهاوٍ بيدَ أنّ بابها جديد ومصبوغ بالأحمر، تذكر أنّ الباب كان قيد الصبغ عندما تركت المدرسة راقبت من خلف السور باحتها الأمامية حيث ترزح شجرة صنوبر كبيرة يتدلى منها سلسال فضيّ لامع فبدأت تأتيها ذكريات مشوهة عن ماضيها وعن الليلة السابقة التي لم تدرِ كيف نجت محاولاتها البائسة للنوم او كيف تكورت على نفسها حتى انصهرت مع الملاءات والوسادة ، تساءلتْ في نفسها لمَ كانتْ حزينة حدّ الموت ؟! ولمَ تركت الوهن ينمو داخلها حتى تحشرج في حنجرتها مثل تفاحة مسمومة؟! بينما كانت تتذكر لم تدرِ كيف أصبحت خارج السيارة وكيف سُحبت اصابعها والحرير الملفوف معها ولا أين اختفى السائق الصموت!

اتجهت بخطى ثابتة نحو العنوان المطبوع في ذاكرتها ، ثم توقفت نطراتها على منزل صغير جدرانه مثل ثيابها المهترئة فسارت اليه هي تجرجر الخيوط وراءها وتتلمس المفتاح المعلق بعنقها كانت واحدة من عادات والدتها أن تعلق المفاتيح بعنق أطفالها كي لا يفقدوها... سارتْ بجانبها بعض المارة وهم يرمقونها بنظرات غريبة لكنها اعتادت على هذه النظرات فهي تعرف أنّ وجهها قبيحٌ جدا ، مرة أخبرتها طبيبتها أنها سوف تُفجع مرات ومرات مالم تعتد

عليه لكنها لليوم لم تفعل شيئا سوى الاختباء مثل قوقعة ، كانت تراقبهم بينما ساروا مبتعدين ، لكنها سمعت شيئا من حوارهم.

كان أحدهم يقول :

_الماضي يلدُ حاضراً يشبهه ويحمل صفاته.

لم تفهم ما علاقتها بالكلام إلا أنها شعرتْ أنه موجهُ إليها هي ، راقبت ملابس المارة السميكة ، معاطفهم الجلدية والمظلات التي فوق رؤوسهم ثم تلمست جسدها فكان مثل قطعة جمر عكس ما ظنته سيما المطر الذي ينصب فوق رأسها مثل رصاص مصهور ، امسكت القفل بكلتا يديها كان صدئا فلم يستجب للمفتاح الذي دار في ثغره ، كان كما لو أنه ساكن والزمن عنده حتوقف مذ غادرتْ والدتها المنزل ، لم تنتبه لشيء سوى أن الخيوط انتزعت القفل وُفتح الباب ، سارت ببطء شديد، راحت تسقط نظراتها فوق كل الزوايا ، حبل الغسيل الممتلئ بالملابس الصيفية ، الأرجوحة الخشبية التي كانت تتدلى من طابق البيت الثاني ، شجرة البرتقال التي ملأت السلال تحتها بالثمار ، زهرة النرجس التي اكتسحت البساط الأخضر للحديقة ، راقبت الهو الداخلي للمنزل كان مشرقاً بشمس خاصة لا تمتّ للعالم الخارجي بصلة ، أغمضت عينيها وشمّتْ رائحة نفاذة ، لشيء يحترق ثم سمعت الصوت ذاته يندفع أعلى وأعلى فركضت نحوه مثل الفراشات الورقية المعلقة على طول الهو ، اتجهت نحو الدرج فصعدت ثلاث عشر درجة ثم أكملت سيرها فوق أرض زلقة واتجهت نحو الغرفة الصغيرة في نهاية الرواق حيث انتهت كل الأضواء ولملمت الشمس ذيولها وهربت ، فتلبست العتمة والظلال كل شيء حتى أصابعها الحريرية، كانت تشعر أن مخاض الذاكرة مؤلم ... وأن ذاكرة المكان تحتم عليها التذكر التفتتْ نحو الجدار فرأت المزيد من الفراشات الورقية الملونة مرتبة فوق نقشة لوردة صغيرة . على الأرض الكثير من بكرات الخيوط الفارغة وعلب الطلاء المغمسة فيهم تذكرت أنها كانت تصنع الفراشات الورقية من

هذه البكرات ، استدارت نحو اليمين فوجدت لوحة صغيرة وزورقا يسبح بنهر واسع ، فتذكرت وعد والدتها برحلة إلى النهر لاصطياد السمك" ، الموسيقى ترتفع ، مما دفعها لدخول الغرفة دون خوف من الليل المكدس فيها ، أول شيء وقع نظرها عليه كان ظلاً لوالدتها وذاتها مكنة الخياطة ، اطارها الخشبي المقلم بالأبيض ، المعدن الأسود نقشة الفراشة باللون الذهبي على جانبها الأمامي ، المستطيل الفضي الذي عُلقت به الابرة الراقصة ، وعجلة تدور وتدور مثل راقصة بالية هناك شرشف على الأرض ،راقبت الإبرة وهي تستمر بالرقص والموسيقى تستمر بالاندفاع "كيف للمكنة..."كتمتْ تساؤلها ثم صرخت "كيف أن تتحرك وحدها دون أمي؟!"

حدقت حولها بشيء من الخوف بدأت تبحث عن مصباح أو أي مصدر للإنارة ، فتذكرت أن والدتها التي كانت تطفئ الأضواء ليلاً لتنام بالقرب منها بينما تستمر بالخياطة لفترات طويلة قد تصل حتى الفجر غالباً كانت تفعل ذلك على ضوء شمعة صغيرة توضع بجانب الماكينة ، لم تعرف كيف للخيوط أن توقد الشمعة إلا أن الخيوط من أصابعها فعلت ذلك ، راحت معالم الغرفة تتضح وكذلك ذاكرتها ، تلك الرسوم كانت واجبها المدرسي ، ووالدتها المريضة التي استمرت بجعل الإبر تعانق القماش حتى الفجر حينما غفت وهي تحاول تغيير الإبرة المكسورة فأسقطت الشمعة فوق الملابس فابتلعها لهب الموت ... راحت تسعل مجددا والدخان الذى عبأ رئتهما ، تذكرت محاولاتها في سحب والدتها خارج الغرفة وكيف باءت بالفشل لم تمسك أصابعها الصغيرة من والدتها إلا سلسال فضي .

بعد صمتٍ عنوة أُطلقت يدٌ باردة على عُنقها وبدأت بتكميم أنفاسها ثم رمتها أرضاً فعادت أقدامها تترنح مثل بندول أعرج !

راحت اليد تجرها نحو عتمة أكثر، ودفعتها عبر الدرج ذاته دونما حرية في الاختيار ، فتداعى عودها مجددا وسقطت ذات السقوط الذي شلّ أطرافها أول مرة ، كانت تصغي

للكثير من الأصوات لكنها ليست بشرية، بدا لها انها اصوات ابر الخياطة ... والخيوط التي تحترق وزورق يلهث بين اللهب طالباً النهر ، كانت ترزح وسط تلك النيران التي تلتهم كل شيء ، في رحلتها اللامرغوبة توقف الزمن بعدما دقت الساعة ست مرات متتالية انسحبت من مكانها وانصلبت على سريرها مجددا فاستفاقت من نومها ، عادت غير قادرة على الحراك ، فلا خيوط حريرية ولا مفتاح بعنقها ، ولا موسيقى لا شيء الا زورق مسجون على فراشها وثلاث وسائد تحت ظهرها ، وستارة ثقيلة لم تندفع يوماً بتمارين الايحاء وذاكرة حريق متعبة اشبعتْ وجهها بندبات حمراء.

*****

ابتلاء..

شمعة الأمل

في ليلةٍ من ليالي يناير الباردة، غشيَ السَّواد نور القمر، وتجلّى القدر؛ فقذف بي في كيانٍ هشّ.. وكان لله الأمر.

رحت أجوب الثنايا، وأنبش في الحنايا، آكل بنهم، وأنفث السقم!

أسير بخطوات جريئة.. أبثّ القلق، وأسبب الأرق للشمعة البريئة؛ فعبثتْ أنامل الشك بعقلها، ونخرتْ لوثة قحف ذاكرتها، وصاحت: "أوّاهُ من ليلي الطويل، وآهٍ من قلبي العليل".

خارت قواها، وداعبت يراعات النعاس مقلتيها؛ فدفنتْ رأسها في وسادتها، وراحت تحلم بالفجر الجميل. أما أنا فرُحت أتوهّج أكثر فأكثر؛ لأنّني استوطنت كيانها الهزيل. أدمنتُ بريق عينيها، ورجاحة عقلها، ولن أرضى بسواها خليل.

بزغ الصباح، فاستيقظت الدنيا على زمجرة الرياح، ووقعِ حبات المطر وهي تتساقط على الألواح.

غادرت الشمعة فراشها الناعم، أغلقت الباب بإحكام ونزلت السلالم، سارت بخطوات متثاقلة نحو الشارع، وعرّجت على دكّان العم محمود، المعروف بالكرم والجود رغم دخله المحدود..

_صباح الخير عمي محمود.

_صباح الخير يابنتي.. إلى أين تمضين في هذا الصباح البارد؟!

_ذاهبة إلى المنفى لأمر مستعجل، ولا أملك المال الكافي للمواصلات، أحتاج لاستدانة بعض المال.

_تفضلي يابنتي.. أسأل الله لكِ التوفيق والتيسير.

_شكرا عمّاه.

ودّعت الشمعة العم محمود، وواصلت طريقها نحو المنفى، مرت بجانب البحر؛ فصفعتها نسماته الباردة، وارتعدت فرائصها من القرّ. كانت تترنّح في مشيتها كمن فجّت رأسهُ صخرة!

راقني منظرها؛ فتبسّمتُ، وسال لعابي اللّزج كسم أفعى ماكرة!وبدأتُ أرى غيمةً سوداء تلوح في الأفق القريب.. إنّها النهاية الحتمية لتلك الشمعة، وهذا ليس بالأمر الغريب.

ها هي تقف على أعتاب المنفى، خائرة القوى؛ فهرع الجلّاد لاستقبالها، ويكرم مثواها.

لا أخفيكم.. تملّكني الغيظ عند رؤيته يتبختر في مشيته، ويطوي كُمّ مئزره ويسوّي نظاراته..

ضخامة بنيته وقصر قامته يثيران الاشمئزاز في داخلي، ناهيك عن رأسه الأصلع المشابه للكرة المطاطية، وأنفه المحدودب كسنام الجمل!

_أفصحت الشمعة عمّا يؤرقها؛ فقالت: "ويح نفسي من وسواسٍ ينخر رأسي.. أرّقني الحال ولم أنم ليلة أمس.."

_همهم صاحب المئز وتكلّم: "في مثل هذه الحال، لا بد من اتخاذ القرار الحازم.. تصوير بسيط للجسم، نتقصّى به عن سبب الهم.."

وكما كان الحال؛ خضعت الشمعة لجلسات التصوير.

غرّني وميض الألوان؛ فظهرتُ للعيان، وقدّمتُ استعراضا أتباهى فيه بشكلي الفتّان!

حصلتُ على الاهتمام والتقدير، وفي المقابل تعرّض كيان الشمعة للتخدير.. نقّبوا عنّي من دون رحمة أو ضمير، وبعد التمحيص والتحليل، تصدّر اسمي عناوين التقرير.

بحلق أبو صلعة في النتيجة وأعاد ترتيب نظاراته على عينيه، وراح يفرك أرنبة أنفه بأنامله، ثم نهض واقفاً، يروح ويجيء كمن جاءها المخاض على حين غرّة.

_دكتور.. ماذا هناك؟ ماذا يقول التقرير؟

_في الحقيقة.. لا أدري ماذا أقول!

_ قل أي شيء.. تكلّم أرجوك، فصمتك يخيفني.

_ آنستي الشمعة.. اسمعيني جيّدا.. اللّه عزّ وجلّ إذا أحب عبدا ابتلاه لكي..

_ عفوا دكتور.. مالذي تلمّح إليه؟!

_ الموضوع هو.. أردت أن أقول.. أوتعلمين أنّ الحياة لا تساوي جناح بعوضة!

_دعِ البعوضة في حالها وأجِبني بكل صراحة.. ماالشيء الذي تحاول أن تخفيه عنّي؟! صمتك لا ينبئ بالخير.

تلعثم أبو صلعة واستدار بوجهه نحو النافذة كي يتحاشى نظرة الهلع التي بدتْ في عينيها وقال:

_آنستي.. تُظهِر نتيجة التقرير أنّ خليّة صغيرة تنام في الشق الأيسر من جسمك النحيل، لكن لا تقلقي؛ فالطب في بلدنا قد تطور، وهناك علاج فعّال، وسنقضي عليها بإذن الله.

لزم الصمت هنيهة، ثم أردف يقول:

_لا يمكن للشمعة أن تسمح لحشرة حقيرة أن تحتلّ كيانها، وتنغّص عليها حياتها..

ماذا! دودة حقيرة! حسّن ألفاظك أيها الأصلع؛ فأنا جمرة ملتهبة، ولغير الله لن أركع! شيمتي العناد، وأيّ مكان أجوبه أرديه كومة رماد.

في تلك الأثناء كانت الشمعة ملقاة على الأرض كقشة في مهبّ الريح! ضاقت عليها الدنيا بما رحبت، وتقلّصت بؤرة الكون الفسيح.. وماهي إلا لحظات حتى استعادت رباطة جأشها، ولملمت شتاتها ومضت نحو بيتها.. تتهادى كطائر جريح.

مرّت ليالٍ حالكة الظّلمات! وهي عالقة في قاع الهمّ تناجي الله المعبود، والعبرات سابحات!

بزغ فجر اليوم الموعود، وسِيقت الشمعة للمنفى من جديد.

حانت ساعة التشريح، وتفنّن الجلاّد في اقتناء أدواته من مشرط، ومقبض ولاقط.

تمّ استئصالي، لكن جذوري بقيت ثابتة..!

خمدت النار، لكن الجمرة بقيت ملتهبة..!

زال مفعول البنج، وسارتْ مكبّلة اليدين في الدلج، يقودها أجناس فارعي الطول، ذوو أعناق طويلة ورؤوسهم مبتورة! يرتدون ثيابا رثّة، ويمتطون جيادا سوداء! والغربان تحوم فوق رأسها حاملة كفنها! يتراءى لها حفّار القبور من بعيد، يكدّ في تهيئة قبرها؛ فصرخت بأعلى صوتها.. هرول صاحب المئزر نحو غرفتها.

_حمدا لله على سلامتك يا آنسة.

_أين أنا ومن هؤلاء الأشخاص؟! لماذا يريدون قتلي؟!

_هدئي من روعك.. مجرد كابوس وانتهى. أنت بأمان، لا تقلقي.

توالت الأيام واللّيالي، تذوب الشمعة من ضراوة الألم ولا أحد يبالي! ينام القمر في جنح الظلام، وهي ساهرة تطاردها الكوابيس والأحلام.. أُعيدت إلى بيتها مكسورة الخاطر، مكلومة الفؤاد.

في تلك الأثناء أرسل الجلاّد برقية للساقي.. مفادها "أنه ربح المعركة، لكنّ الحرب في أوجّها، ولابد من الاتفاق".

قبيل انطلاق رنين الهاتف بلحظات، كانت الشمعة ساجدة في حجرتها، تناجي خالقها: "ربّاه.. ضاق المسير. إلهي..يسّر كل عسير"

_ألو نعم.

_ كوني جاهزة، غدا ستبدأ المواجهة!

_بإذن الله.

انقضت سويعات النهار وهي غارقة في التفكير.. وأسدل الليل ستاره؛ فاستسلمتْ للنوم بعد الإجهاد الكبير.

استيقظتْ مع أوّل تكبيرة لأذان الفجر. تجهّزت واستعدّت للخروج. ورغم قساوة الموقف إلا أنّها تسلّحت بالإيمان والأمل.

لا أنكر أنني شعرت حينها بنوع من الخوف؛ فقد بدتْ قويّة ومتماسكة، بينما كنت أريد رؤيتها خاضعة خانعة ومتذلّلة؛ لكي أستطيع السيطرة عليها.

ها قد وصلت للمنفى ذابلة العينين، منهكة التفكير.. جلست في قاعة الانتظار تعدّ الثواني، تتأمّل الوجوه! شابٌ يتأفّف، وكهل يتأوّه، وشيخ ينازع، وصبية مغمىً عليها، وأمها تكفكف الدمع!.

_الآنسة شمعة.. آنستي.. يا شمعة.

اضطررتُ أن أحدث ضجة في داخلها كي تستفيق، لأنها كانت تائهة في عالم آخر! عمدت إلى وخزها، كالشوكة التي تنغرز في الحلق، محدثةً ألما فظيعا؛ فاهتزّ كيانها وعادت لأرض الواقع.

_الآنسة شمعة..

_نعم.. حاضرة.

_هل أنت صمّاء؟! هه!! هيا ادخلي للغرفة رقم(٤).

رافقها البواب لتلك الغرفة المشؤومة، أربعة حيطان مطلية باللون الأزرق، وسقف متآكل بفعل الرطوبة.

تشبه القبو لضيق حجمها وإنارتها الخافتة، ولها نافذة صغيرة الحجم، تُطلّ على الطريق العام، والذي احتلّته المركبات؛ فكان يتنفس بصعوبة مثل الآنسة شمعة!

ويوجد داخل القبو-المسمّى غرفة- سرير ذو غطاء أزرق، ووسادة بلون الكفن!

دخل الساقي يرافقه الجلّاد.. وشرعا في تجهيز العدّة والعتاد!

شرابٌ أحمر يشبه الدم! طعمه لاذع كالعلقم! يقال عنه «ترياق»

قطرة واحدة منه كافية بأن تذيب الحشا، تجرّعَتْه مكلومة الفؤاد.

هناك.. تتباطأ عجلات الزمن وتتوانى في الرحيل، وتتعالى قهقهات الهلع المتربع في جوف الليل؛ فتوقظ الألم من سباته، وتنهار لحظات الهدوء، ويخيّم اليأس على صاحبة الجسد العليل.

لا شيء يرى سوى بقعة ضوء تنساب من النافذة، كأنها جدار فاصل بين الجحيم والنعيم!

هناك.. لا فرق بين الليل والنهار بالنسبة للشمعة التي كانت تعدّ

الدقائق بالساعات! وتقيس الزمن بعمق المسافات.

تغلغل الترياق في أنسجتها، ورقّت عظامها، وتساقط شعرها، وحجبت الهالات السوداء بريق عينيها، وتحشرج صوت أنفاسها. ورغم المعاناة والوجل، إلا أنها كانت تتمسّك بالإرادة والأمل، وتتسلّح بالإيمان والصبر؛ فبعد كل جرعة ألم، تزداد قوة!

لكنّني لم أكن أقل شأنا منها.. لقد حاول ذوو المآزر البيضاء إطفاء شعلتي وإخماد رمادي؛ وإحراق أنسجتي؛ فازددت ضراوة!

عِفتُ اللَحم، وانتقلت للعظم.. لقد امتلكت جسد الشمعة عنوة.

وا أسفي عليها! لقد أضحت بين أيديهم مثل الدمية! أحدهم يوصيها باتباع الحمية، وتجويع الخليّة السرطانية! وآخر يوصيها بالأعشاب الطبية!

دمّر الكيماوي أوردتها، وأحرق الإشعاعي أنسجتها، عاث فيها السقم، وهرمت ذاكرتها!

وصارت تعيش على وخز الإبر، تزور المنفى كل شهر، وفي كل ليلة تدعو الله أن يخلّص روحها من القهر، وينتهي الأمر..

لقد أحدثتُ في روحها شرخاً لا يندمل، وتركتُ فيها أثرا، وندبة تلازمها مدى الدهر! لكنّها لم تيئس أو تستلم! تقول "إنّ الابتلاء من أكبر النعم، به تُمحى السيّئات وتُكفّر الذنوب؛ فطوبى لمن تمسّك بحبل الله وتحلّى بالصبر.."

وتقول "إنّ لكلّ داء دواء". وهاهي اليوم تتماثل للشفاء! فقد رفعتُ راية الاستسلام، وحسن الختام سلام.

سطّر يا قلم.. فقد تفشّى السم، واستفحل السقم..
تبعثر الحلم، وولّت البسمة.. تاهت في السديم!
وانحدرت الدمعة صوب الخد تكويه بنار الألم..
تشبّث القلب بحبل الرجاء.. وعزمت الرّوح على
مقاومة الداء؛ فتسلّحت بالصبر والأمل..

*****

خداع المرايا..

زينب محمد

صغيرتي، ذات الوجه القمري الذي لم تدرك بعد مدى جماله وقوة تأثيره، ابتسمي كما لو كانت الشمس تشرق كل صباح لأجلك فحسب، ما خلق هذا الثغر إلا للتبسم والضحك، السعادة تستحق، ولا تكلفنا سوى ضحكة صغيرة ممتلئة حباً..

خلقنا أولا لأجل الحب، إذا لم نحب أنفسنا، فكيف إذن نمنح الحب لسوانا، وكيف نستطيع الفكاك من قبضة الحياة القاسية، مادمنا نتقيد بقيود لا تعنينا مطلقا..

الجمال هو أن ترى نفسك جميلا فحسب هذا كل شيء.

أما الثقة فأن تقدر نفسك كما تستحق، ولا تنتظر ذلك من شخص آخر..

غاليتي، انسجي الأحلام وحلقي فوق سماء أمنياتك، اخرجي من شرنقتك للحياة، مزقي القيود التي تكبلين بها هذه النفس المعذبة، و استمتعي بالحياة..

أنت أكثر من مجرد وجه جميل، فيك ينطوي كل ماهو جميل..و أتمنى لو تدركين ذلك..

*****

أولئك الذين روجوا للجمال، شوهوا صورته، قيمونا بمعايير لا تعنينا في شيء، فرضوا علينا إطارا ووضعونا به، دون أن يفكروا يوما بأن ذلك كله مجرد تفاهة نابعة من عقلهم المريض.

ليس كل عين بإمكانها أن ترى ذلك الجمال، إنما هو شيء ينبع من دواخلنا المضيئة؛ والممتلئة حبا.

جلست دعاء الفتاة الوديعة ذات السبعة عشر عاما، أمام مرآتها تنظر إلى وجهها بإمعان، بينما هي تتأمل ذاتها وتفكر، طرق باب غرفتها طارق؛ أتاها صوت اختها الكبرى وقد امتلأ حماساً.. قائلة:

هيا أيتها الكسولة ألم تنهي زينتك بعد، سنتأخر عن الحفل.

وكما تعلمين لن تسامح ابنة عمك الكريمة عن أي تأخير عن حفلة حنتها، الجميع جاهز بانتظارك؛ هيا اخرجي لنذهب.

ردت بصوت خفيض: أنا أود البقاء في المنزل، يؤلمني رأسي قليلا، أحتاج إلى بعض الراحة وكما تعلمين، لا أحب الحفلات ولا اطيق أجواءها الصاخبة.

_ومتى قررت هذا أيتها الغبية؟

_قررته الآن، أخبرتك أنني مريضة بعض الشيء، دعيني وشأني نور.

_حسنا ياصغيرة؛ كما تريدين، وداعاً.

_أتمنى لكم مساءً ممتعاً.

أغلقت نور باب الغرفة ومضت مستغربة، إلى الحفل.

لم تكن الصغيرة تعاني من أي صداع، إنّما كانت مجرد حجة لتضمن بها بقاءها داخل المنزل، فهي صدقاً لا تطيق الحفلات ولا التجمعات التي تضج بالناس.

جلست على السرير، وأخذت تتصفح الانترنت على هاتفها؛ أخذت تذهب من أعلى الصفحة إلى آخرها بملل، تضع تعليقا هنا، واعجابا هناك، تدخل هذه المجموعة وتخرج من تلك، دون تركيز. كان ذلك كله مجرد قتل للوقت.

يضج الأنترنت بصور الكثير من الجميلات، بجميع الصفحات، اخذت صديقتنا تسترجع شريط طفولتها وتستذكر الماضي..

كان السبب الحقيقي وراء تخلفها عن الحفل، هو أنها تشعر في داخلها بأنها فتاة شديدة القبح، وتشعر بالأسى الحقيقي حيال هذا، لا تستطيع الاندماج وسط عالم يضج بالجميلات، ذلك يشعرها بالضآلة والحزن.

كانت تحمل في داخلها شخصية مهزوزة، منزوعة الثقة، بسبب قبحها المفرط كما تظن، فهي لا تفتأ تقارن ذاتها بالأخريات، بل حتى أخواتها كانت تقارن ذاتها بهن، جمالها، و شعرها ولون بشرتها، بل وحتى أحرف اسمها، تنامى في داخلها الشعور بالنقص، وازدادت بؤرة الحزن في قلبها وأحيانا الحسد والغيرة.

خجلت دعاء من شخصيتها، وشكلها، فقررت أن تتجنب الناس، تسبب الأمر في مشكلة نفسية كبيرة عانت منها لزمن طويل، بل كان قد هذا الشعور منذ نعومة أظافرها.

لكنها كانت تدرك تماما حجم المشكلة وأبعادها وتأثيرها على صحتها النفسية، فسألت نفسها كيف تعالج ذلك، كيف تعيد الثقة إلى ذاتها المعذبة هذه، كيف تتقبل هذا القبح وتمضي إلى حياة طبيعية؟

جالت بخاطرها الكثير من الأسئلة، كان يعنيها ذاتها، وكان يهمها أن تتغير ولا تهتم لكل هذه التفاهات، فهي تعلم أن الشكل ليس كل شيء، لكن كيف؟

أخذت هاتفها، وقررت أن تكتب مشكلتها، وتعرضها على هذه الصفحات التي تهتم بحل المشاكل الشخصية.

فكانت شجاعة للغاية وفعلت.

كان نص المشكلة كالآتي:

أنا فتاة في السابعة عشرة من عمري، أعاني من مشكلة القبح، لست جميلة على الإطلاق وأشعر باهتزاز في الثقة وضحكتي بشعة حتى أنني نادراً ما أضحك لهذا السبب، هذا الأمر أثر على نفسيتي بصورة كبيرة، حاولت مرارا التصالح مع ذاتي وتقبل شكلي والتعايش

السلمي مع نفسي لكنني لم أستطع أن أحقق ذلك، فشلت تماما، فقط اخبروني كيف أستعيد الثقة بنفسي، ولا آخذ الأمر بهذه الأهمية والحساسية المفرطة.

*****

كنت حينها أتصفح الإنترنت كعادتي، مررت على الصفحة التي تهتم بالاستشارات و حل المشاكل الاجتماعية، عادة ما أجيب على المشكلة حسب علمي، وإن لم استطع أن أقدم رأيا مناسبا، أدعو لصاحب المشكلة، و أمضي؛ لكن عندما قرأت استشارة هذه الفتاة الصغيرة، استوقفتني مشكلتها، شعرت بقلب سجين، يخاف أن يحلق بعيدا، شعرت بنفس معذبة ضيق عليها الخناق تستنجد بشخص ما لتتحرر وتعيش كما ينبغي لها أن تعيش.

أجبت على استشارتها، بأن تبعث لي برسالة بمجرد قراءتها للتعليق الذي يخصني، فكما هو معلوم لديكم هذه الصفحات سرية في عرض مشاكل القراء، لذا لم استطع الوصول إليها، إلا بتنبيهها إلى مراسلتي.

جلست حينها أفكر بها كما لو كانت مشكلتي، قضيت يوماً كاملاً أنتظر رسالتها، حتى ظننت أنها لن تأتي، لكنها أتت على استحياء، كخجل صاحبتها التي تتوارى خلف شاشة.

كدت أقفز من السعادة، حين سمعت جرس رسالتها الإلكترونية على هاتف، ثمة ارتباط غريب شعرت به نحوها.

كانت فحوى رسالتها كالآتي:

مساء الخير.

أنا الفتاة صاحبة الإستشارة.

رددت بفرحة غامرة:

مساء النور دعاء؛ أهلا بك.

تساءلت مرارا كيف بإمكاني تقديم المساعدة، ماذا إن أخفقت، ماذا إن لم ينجح خالأمر، كيف سنواجه ذلك الفشل، كيف يمكنني انتشالها بنجاح دون تعثر؟ حيث أنه سيكون من العسير جدا مواجهة الإحباطات النفسية لديها في حال فشلت في مساعدتها، سيتأزم الموقف.

ما هو المدخل الصحيح لعرض المساعدة، يا إلهي لم يكن الأمر سهلا كما ظننت.

طردت مخاوفي، تشجعت وتلاشت تلك الهواجس، طرحت عليها الأمر بصدق، فارق السبعة اعوام التي بيننا كان قد مكنني من الدخول إلى مكامن نفسها بطريقة تقبلتها بسهولة ويسر.

*****

كتبت إليها بعد تفكير عميق: لا بد و أنك مستغربة من طلبي لمراسلتك إياي!.

اجابت: بصراحة نعم.

كتبت: أنا أرغب في مساعدتك بهذه المشكلة، ولا أطالبك سوى بالصدق والصراحة، فهل ستعقدين معي اتفاقاً على هذا الأساس لنبدأ.

أجابت على الفور: يسرني سماع ذلك.

سأخبرك بالذي تودين معرفته ولن أبخل بشئ.

قلت: ممتاز.

سرني التعرف عليك ياصغيرتي.

تجاذبت معها أطراف الحديث، ذهبت أحدثها عن ذاتي، وأسألها عن ذاتها عائلتها وكل مايمكن أن يكون ذا علاقة بمشكلتها.

سألتها:

أين تكمن مشكلتك، ما الذي ترغبين في إصلاحه، و ما الذي تطمحين للحصول عليه؟

أجابت:

لا أثق بذاتي، أعاني من ضعف الثقة، أشعر بأنني شديدة القبح، وهذا الأمر يؤثر سلبا على شخصيتي، ويؤثر على محيطي.

هل تعلمين أنني أبغض ضحكتي، لأنها بشعة، لا أضحك إلا إذا تأكدت بأن لا أحد يراقبني، أو يلاحظ ذلك.

هنا تكمن المشكلة.

أما ما أرغب بإصلاحه، هو كيف أستعيد هذه الثقة، أعلم تماما أن الشكل ليس بالأمر المهم الذي يستحق كل هذا الأسف، و أن الجمال ليس كل شيء، لكن ماذا أفعل، أنا حقا أعاني.

أحيانا أشعر بأنني أطمح لأكون أجمل، لكن مايهمني حقا هو الثقة بذاتي.

-تأملت هذه الكلمات، شعرت بهذه الروح السجينة، كطائر جميل، يرغب في التحليق إلا أنه مكبل.

سألتها:

منذ متى و أنت تشعرين بهذا، وما السبب في ذلك، هل ثمة أسباب خاصة؟

أجابت:

منذ طفولتي و أنا أعاني من هذا الشعور، أشعر بأن شقيقاتي أوفر حظا مني في الجمال؛ حتى أن الجميع كان يخبرني بأنني لست وافرة الجمال مثلهن، وظل الجميع يردد ذلك، فتعمقت الفكرة في داخلي، فبدأت أشعر بالنقص، والدونية، اهتزت ثقتي، وما عدت اهتم لشيء حتى دراستي أهملتها.

-سألتها:

بأي كلية تدرسين؟

-كلية الصيدلة، ومستواي الدراسي ليس جيدا، بسبب ضعفي في اللغة الإنجليزية.

هل يدرك العالم حجم الظلال السوداء التي يلقون بها في نفوسنا، بطرح آرائهم السلبية، على تصرفاتنا وأشكالنا، وتقييمهم لمظهرنا،و آراءهم القاتلة حول أدائنا؟

هل يدركون حقا مقدار الأسى الذي يخلفونه في داخل طفل صغير بوضعه في سجن كهذا دون ذنب، بالطبع لا يدركون ذلك..

تتراكم الذكريات السوداء في النفوس وتتضخم، تكبر معنا، تبني شخصياتنا، وتأخذ حياتنا إلى منحى آخر غير الذي أردناه لأنفسنا.

*****

سألتها أي من الهوايات تفضلين، ولما لا تحاولين ملء وقتك بدلاً من أن تهدري وقتك في أمور كهذه؟

أجابت:

أحب القراءة، أقرأ أحيانا.

وأحاول ألا أفكر كثيرا، لكن أخبريني ماذا أفعل حتى أتخلص من كل هذه الأمور العالقة بنفسي، بماذا تنصحينني؟

أعددت لها هذه المادة الدسمة وتركتها لتحارب في معركتها.

كتبت إليها:

صغيرتي، كل هذا الذي تتوهمينه مجرد هواجس لا أساس لها من الصحة، ولا يمكنك أبدا أن تكبلي ذاتك لأن وجهة نظر سخيفة تسيطر عليك، مايهمنا الآن ليس شكلك الحقيقي الذي يبدو لك، لا أسعى لإثبات جمالك أو نفيه فهذا لن يغير مايجول بنفسك في شيء، ما أسعى إليه حقاً؛ هو كيف تنظرين أنت إلى نفسك وكيف تقيمينها، كيف تتقبلين ذاتك وكيف تحبينها.

ليس على أساس الجمال نحب ذواتنا ونقدرها، وليس على أساس مظهرنا يحترمنا الناس، كل هذا وهم، من يعاملك على هذا الأساس بلا شك مريض.

هؤلاء الذين غرسوا في داخلك هذه المحنة التي أصبحت ثقيلة في داخلك ثقل الجبال، ماهم إلا أشخاص ضيقي الأفق..لم يدركوا بعد أن جمالك الحقيقي إنما هو نابع من داخلك، روحك الطيبة وحبك للآخرين، وتقبلك لإنسانيتهم وأخلاقهم لا لشيء آخر.

انظري كل يوم على أنك أجمل نساء العالم، تعاملي بعفوية، تصرفي على سجيتك، خذي مرآتك كل صباح وانظري إلى وجهك و ابتسمي، تصوري بأن هذا الكون الجميل كله لا يمكنك رؤيته جميلا، ما لم يكن هذا الجمال نابعاً من داخلك..

اخرجي للعالم وتنفسي بحرية وانطلقي، لتعيشي الحياة كما يجب..

ابدئي دروس اللغة الإنجليزية لتحسني دروسك وتتفوقي.

مارسي الرياضات التي تحبينها، و تناولي الكتب بنهم وشغف عظيم..ستتأكدين بأن أمر المظهر ليس بالشيء الذي يستحق العناء، بل العقل والروح..

لو كانت روحك سعيدة فسيظهر ذلك على ملامحك، لكن هل يمكن لروحك أن تتغاضى عن تعاستها لمجرد أنك تملكين وجها جذابا؟

بالطبع لا.

تحمست للفكرة وتشجعت وعزمت على الإنطلاق، وكانت سعيدة حقاً.. وكأن شرارة من داخلها قد أوقدت..

كنت معها يوماً بيوم، أكتب إليها بعض الخواطر، وأسألها كيف هي الآن..؟

أخبرتني أنها تتحسن..

نصحتها بكتب الدكتور إبراهيم الفقي لتساعدها في معركتها مع ذاتها..

يوماً بيوم كانت تتحسن نفسيتها؛ ما زلنا نراسل بعضنا.

كانت فتاة عذبة، بالغة اللطف والرقة.

لمحت بالأمس صورة مقصوصة من جانب الوجه لم يكن يبدو إلا جزء من الشعر، على تطبيق الواتساب الخاص بها.

سألتها بفضول، من صاحبة الصورة؟

أخبرتني أن الصورة لها..ولكن

هزتني هذه اللكن..

سألتها إن كان بإمكاني رؤية هذا الوجه الذي يتخفى خجلا ويتوارى غير مقتنع بذاته.

وافقت بتردد..

انتظرت تحميل الصورة على الشبكة.

أغمضت عيني، لأفتحهما على ذلك الوجه الخجول.

لم يكن ما رأيته مجرد وجه، كان جزءا من قطعة قمر، صدمت لكل تلك الأفكار المحشوة بذلك العقل الصغير، آلمتني تلك النظرة التي تحاصر بها نفسها في زاوية مظلمة.

وجه جميل وثغر ذا مبسم أخاذ، براءة تحفها كبقعة من نور، لم تكن لتلك الملامح أي علاقة بالقبح أو البشاعة لا من قريب ولا من بعيد.

كنت في قمة الاستغراب والتعجب.

سألتها غير مصدقة، هل حقا تنظرين إلى نفسك من تلك الزاوية وتتهمينها بالبشاعة، أم أنك تمزحين؟

أجابت حقاً أنا أشعر بذلك، لكنني يجب أن أتقبل الأمر.

قلت لها أنا لا أراك كذلك..

قالت: كيف؟

قلت لها بغض النظر عن أن المظهر ليس مقياسا أقيمك به، لكنك في الحقيقة تملكين جمالا لا يستهان به.

لم تصدق أنني أراها على هذا النحو.

لكنها شعرت بالثقة..شعرت بأنها بحاجة إلى هذا الدعم لتستعيد ذاتها.

ثم بعد برهة بعثت لي برسالة„ الآن قد استعدت عافيتي، يمكنني المضي دون الالتفات إلى مايتفوه به الناس، لم يعد يهمني إن كنت جميلة أو قبيحة، مايهمني أن المظهر ليس هو كل شيء، لن أقيم ذاتي على هذا الأساس، لن يقدرني أحد كما أفعل أنا، لقد حصلت على الثقة."

قلت: هذا ما أنت بحاجة إلى الشعور به لتستعيدي توازنك..

ثم ضحكنا

واخبرتها سراً أنها جميلة رغم كل شيء.

لقد بقي أمرٌ واحد..

قلت لها عندما تضحكين بكل عفوية ودون تفكير، ودون أن تحسبي لأي أحد حساب، تأكدي حينها أنك اجتزت كل المسافة..وأنا متأكدة من أنها بلا شك ضحكة رائعة.

حيث أن المشكلة كلها تكمن هنا..في هذا الخجل المتواري خلف ضحكة.

قالت: سأفعل.

*****

صندوق الحب

إيناس مهنا

لم تكوني في حياتي مجرد سحابةٍ عابرة ، بل كنتِ كالسماء ..كالأرض والهواء .. تنفست وجودك دون إدراك لكني زفرتك باحثاً عن الحب ولم أفقه أني غارقٌ فيه ، مغموسٌ بين قطرات حروف اسمك الماطر ... يا مطر .

*****

((أتعرفين ....

كنت أعشق لحظات طفولتنا معاً ، أيام براءتك ودهائي ، منذ سنواتنا الأولى أدركت كالجميع أن غيث لمطر... ومطر لغيث .

فحالة التشابه التي تسيطر على كلينا كانت كفيلة باجتماعنا سوياً ، نحن نتشابه بلون عيوننا التي تشبه السماء لحظة الغسق ، نتشابه بالأفكار ، بالطيش ، بالجنون ... نتشابه حتى بالأسماء ، نشأنا على الحب الذي خطه القدر على صحائفنا لحظة اللقاء الأول ،فعندما رأيتكِ للمرةِ الأولى كنتِ ملاكاً حديث الولادة وكانت والدتك قد قررت تسميتك ب مطر لأن أول صرخة انطلقت من حنجرتكِ النقية اقترنت بهطول المطر ! وحينذاك أدركت أنك ستكونين جزءاً من كينونة حياتي ، وفعلاً كبرنا لندرك أن أقدارنا ارتبطت سويا بميثاق الحب الذي أجبرونا على الشعور به دون وعيٍ أو إدراكٍ منا ، و لربما الاستسلام لكونك زوجتي

المستقبلية كما قررت عائلتانا أن يكون فلم نعترض على ذلك بل وسارت حياتنا وفقاً لتخطيطهم ،تخرجت أنا من كلية الآداب منذ سنتين ، وخطوبتنا سنعلنها بعد تخرجك من الثانوية ، أي بعد بضعة أشهرٍ فقط ، من المفترض أن نكون سعيدين ... لكن أتدركين ما المشكلة ، وآسف لقولها : لا أشعر بسعادتي كما يتوجب علي كما لا ألتمس سعادتك بهذا الارتباط.

ما زلت فعلاً أشك بمشاعركِ تجاهي ،بل أشك حتى بمشاعري التي لا أستطيع وصفها، هل هذا هو الحب الذي لطالما حلمنا بأن يجمعنا ! لست أدري حقاً ، اعذريني على صراحتي لكنك تعرفين بأني أبوح بأي فكرةٍ تقلقني ، أنا قلقٌ فعلاً من المستقبل.

لطالما تمنيت أن تلتاع روحي بعذاب الحب ، تمنيت أن أختلس لحظاتٍ من الزمن مع من ستكون محبوبتي ، تلك التي ستقابلني بالسرّ في نهاية الزقاق ، فأحتضن كفها ونهرب سوياً لنسترق لحظاتٍ من الزمن بعيداً عن الجميع ، تلك التي ستكلمني همساً من غرفتها بصوتٍ يرتجف وستغلق الخط بوجهي فور اقتراب أحد أفراد أسرتها من باب الغرفة ، تلك التي سأتشاجر معها وتخاصمني بالأيام وحين نلتقي الحب فقط هو من سيبوح بالاعتذار ، لكن وبعلاقتي معك ...لا خوف من أحد ، فعلاقتنا ومنذ الأزل مبنية على الوضوح ، لطالما اشتهيت فكرة الغياب والعذاب المرافق للحب وكما يقول منطقي الخاص.. العذاب هو من يضفي للحب مذاقه ونكهته المميزة ، لكن علاقتي معك يا مطر، سلسة كالمطر ، ناعمةٌ كقطرات الغيث فعلاً ، ألقاكِ بشكلٍ شبه منتظم ونخرج متى نشاء ونعود متى نشاء دون اعتراضهم ، فغيث لمطر... ومطر لغيث، أنت مستسلمةٌ لأفكارهم لربما أكثر مني وحينما نخرج كان بريق عينيكِ حين اللقاء كقطرات الفجر الندية على الحشائش ، أتبكين للقائي ، اشتياقاً أو إجباراً فعلاً لم أكن أدري ! أسألك سؤالاً صرت أكرره كثيراً بالآونة الأخيرة : هل تحبينني يا مطر ؟ تجيبين بابتسامتك المشرقة: أحبك يا غيث .

هل حقاً تحبينني ؟ هل تفقهين معنى تلك الكلمة التي ترددينها لي كثيراً وكأنها مرحباً أو صباح الخير ! أشعر دائماً بأن مشاعرك باردة ... خاويةً من العواطف التي يتوجب علينا الإحساس بها ، وأعرف أنها بالنسبةِ لكِ مجرد كلمة لا تفقهين حتى جوهرها الحقيقي ، ولستُ أنا بأحسنَ منكِ ! لربما علاقتنا ليست تندرج تحت مسمى الحب بقدر ما تندرج تحت مسمى الاعتياد ...العِشرة الطويلة ، الأمان والطمأنينة .

ذكرياتنا معاً لا تتعدى ألعاب الأطفال وكلمات غزلٍ في فترة المراهقة وفقط ! كلمات لم يكن لها تأثيرٌ قوي على مشاعري ...بل كانت باردةٌ كذلك ، باردةٌ بشكلٍ مخيف يا عزيزتي .

زهدنا بالحب حتى قبل أن يطرق أبوابه لنوافذ قلبينا ، ساعديني يا مطر ، ساعديني لينجح هذا الحب الذي رسمه القدر لحياتنا ، ساعديني فأنا لا أقوى على الاعتراف وكالعادة لن تقرئي هذه الرسالة بل ستصبح أسيرة صندوق الحب كما اتفقنا على تسميته))

*****

((هذه رسالتي العاشرة ربما ، لست أدري فلم أعد أحصي عدد الرسائل، لكن كما اتفقنا منذ سنوات سأكتب كل ما يشغلني ويخيفني وأضعها بذلك الصندوق الذي اتفقنا على أن يكون موطناً لاعترافاتنا التي لا نستطيع البوح بها ، سيكون لكل منا مفتاحه الخاص بقفل خاص ، بحيث لا يستطيع أحدنا أن يفتحه دون الأخر، حتى تجيء اللحظة المناسبة.

أتعلمين.... فكرة الصندوق بدت سخيفة حينما اقترحتِها علي ، لكني أدركت كم هو مهمٌ أن نرمي بعبء هواجسنا على ورق ، لعل الكتابة ستفيد في إفراغ شحنات الخوف التي أشعر بها تسيطر على كلينا ولا قدرة لأحدنا بالاعتراف .

أنا آسف ، اعذريني .

صرت أكره التوافق المستفز لكلينا وكأننا بذرةً شطرت لنصفين ، صار الروتين الذي يغلفنا كنار لاذعة لا ترحم ، أفلامي المفضلة ، وجبتي ، أفكاري ، ممثلي المفضل ، الأغاني التي أحب الاستماع إليها ... كل شيء كما تفكرين وكما تفضلين ، وكأننا كيانٌ واحد ، صارت علاقتي بك كالرعد ، كالصواعق التي تلسع جسدينا كلما التقينا ، أسفٌ على فظاظتي مؤخراً معك ، أسفٌ على كلمة أحبك التي أقولها بلا معنى ، على احتضان كفك بلا مشاعر حقيقية ، علاقتنا باتت خيانة لمعنى الحب ، خيانةٌ لجميع العشاق وسيلسعنا لهيب نارها يا مطر))

*****

((سيمتلئ الصندوق ، يا لسخافة اعترافاتي والتي لا أفضيها سوى لهذا المسكين والذي سيفيض به الكيل إن تجرع رسالة أخرى من رسائلي !

على الرغم من كل الهواجس والأفكار المتضاربة التي راودتني لكن خطوبتنا قد تمت كما هو مقرر ! بابتسامةٍ باهتة من شفاهك الوردية وبعيني البليدتين الخاليتين من الحماس ، تمت المراسم ، وصدعت الزغاريد والتهليلات من نساء العائلتين ، كان الحفل أنيقاً بسيطاً كعلاقتي بكِ ، وشرودك يا مطر وأنت برفقتي بات يزداد يوماً بعد الأخر ، سألتني ذات يوم : هل تكتب اعترافاتك ؟ ضحكت مجيباً لقد ملأت الصندوق يا صغيرة .

تعالت ضحكاتنا معاً فسألتك بتوجس وأنتِ هل تكتبين ؟

أطرقت رأسك حينها بصمت تفكرين ، كنت قبلاً أقرؤك ككتابٍ مفتوح أما الآن فلا قدرة لي على ترجمة أحاسيسك ، لربما لانشغالي عنك في الفترة الماضية ، رفعت رأسك بعد دقيقتين من التفكير العميق مجيبة : اعترافٌ واحدٌ خططته ولا أظنني سأكتب سواه .

تملكني الفضول حينها... الفضول لدرجة أن أفكاري باتت لا تتمحور إلا حول ذلك الاعتراف اليتيم منكِ ، ليتني أعرف ما هو ؟

لكنكِ لم ترحمي فضولي بل اكتفيتِ بالتهرب عن فحوى ذلك الاعتراف لسنةٍ كاملة، وبعدها صرتُ لاهثاً وراء الحب ، أبحث عنه بين وجوه النساء اللاتي أعرفهن في حياتي ، لعله يطرق بابي مع إحداهن ، وأعترف أني خنتك ...

اعترف أنا بخيانتك على مدار تلك الأشهر ، لكن الحب لم يكن موجوداً مع أي فتاةٍ عرفتها ، وأهملتك كثيراً من حينها وبذات الوقت اشتاقك! أي جنونٍ هذا؟، أراكِ تذبلين يوماً بعد أخر ولا أفقه سبب حزنك ، لربما لاقتراب موعد زواجنا ؟

حتى جاء ذلك اليوم يا مطر، يوم زواجنا المنتظر من الجميع إلا من كلينا كما كان واضحاً وضوح الشمس ، حينما كان المطر يشاركنا اسمينا ومشاعرنا ... فقد كان ذلك اليوم عاصفاً غاضباً يضرب الأرض بعتابٍ كبير احتجاجاً على الجريمة التي سنرتكبها بحق مشاعرنا ...وبحق الحب ، لم ترتدي بعدُ فستان زفافك الأبيض ، وكنت أسير بغير هدى تحت لطمات المطر الموجعة ، كضربات قلبي خوفاً من اعترافٍ قد يؤلمك في ليلة العمر ...

حينما وصلت ناحية العمارة رأيتك تقفين بانتظاري، تمسكين بالصندوق بدموعٍ قد خالطت زخات المطر لتمتزج معها ، سألتكِ بقلقٍ عما بكِ لتهمسي برفق : سنقرأ الليلة تلك الاعترافات يا غيث " طرحت ما بجعبتي من خوف واحتضنت كفيك القابضين على الصندوق وسألتكِ: هل أنت متأكدة ؟

لم أكن متأكدة بيومٍ كما أنا الآن.

دلفنا لداخل العمارة سويا و جلسنا على درجات السلم ، وتطلعتُ بعينيكِ اللتين تحملان لون الغسق ... تطلعتُ بمرآتي، بطفولتي ... بماضي وحاضري ، وأخرجنا مفتاحينا ،

عددنا حتى الثلاثة كالأطفال وأولج كلٌ منا المفتاح بقفله الخاص ولا أعلم سر تلك الانقباضة التي اعتمرت بصدري حينها ... كان الإحساس لا يوصف وكأنني تعريت فجأة ، كل مساوئي وخياناتي هي بهذا الصندوق ، كانت أوراق رسائلي الزرقاء على مدار السنوات قد

ملأته، لكنني أوقفت يديكِ اللتين سارعتا لالتقاط إحدى رسائلي ، منعتك قائلاً: سأقرأ رسالتك اليتيمة أولاً ...

عضضتِ على شفاهك بارتباك لكني كنت مصراً على موقفي ، وصرت أعبث بين الرسائل حتى لاحت ورقتك زهرية اللون ، تطلعت فيكِ نظرةً أخيرة وفضضت الورقة .

حينها هربتِ من أمامي ، هربت لتلتجئي إلى موطنك المطر ....

قرأت تلك السطور الناعمة الرقيقة ، كلماتٌ أستشعر صدقها للمرة الأولى ، ولأفكاري لسنواتٍ صارت طي النسيان فجأةً .

رويتِ حكايتكِ بشفافيةٍ مطلقة ، برقةٍ لا متناهية ، بسلاسةٍ ونعومة شعرتُ بكل كلمة خططتها على الورق ، كلماتك سرقت روحي ، لخبطت عقلي وشتتت تفكيري ،لم نكن روحاً واحدة ذات أفكارٍ واحدة ، بل كنا روحين يا مطر ، تحبينني بقلبٍ نقي، كنت تعشقين أغاني المفضلة لا لأنك تحبينها بل لأنني من أستمع إليها ، وأكلاتي تعلمتِ إعدادها لأجلي فقط لا لأنك تحبين تلك الأنواع ،والأفلام والأفكار ... أي غباءٍ يا مطر كنتُ أعيش فيه وأي حماقة !

كنتِ تخجلين من الاعتراف بأنك تشعرين بما اعتمر بقلبي منذ سنوات تجاهك ، لكنك يا صغيرتي أعطيتني درساً بالحب ، بالحياة ، ولربما كانت حلاوة الحب فعلاً ببساطته ووضوحه وانسجامه بين الشريكين والتي لم أكن لأؤمن بها سابقاً.

رفعتُ رأسي ناحيتك ، كنتِ تبكين ، تحت ضربات المطر العنيف تنشجين ، تبسمتُ ببلاهةٍ حينها ، وأطلقت ساقي ركضاً باتجاهك ، اختطفتكِ بغتةً بين ذراعي وصرت أدور بكِ ولفظتها لأولِ مرةٍ لكِ وبصدق : أحبكِ .

-لا تكذب أعرف حقيقة مشاعرك تجاهي " قلتِها نافية لكنني تمسكتُ بكِ أكثر وأعدتها: أدركتُ أني أحبك يا مطري ورعدي وبرقي ، كنت أبحث عن الحب بغباء وهو طيلة تلك السنوات بين يدي دون أن أعترف به أو أشعر بحلاوته "

رفعت رأسك بتلقائيةٍ ناحيتي ، لاحتضن عينيكِ بدفء جميلٍ دغدغ روحي ، لم يعد الكلام ينفعُ هذه اللحظة ، بل صارت مشاعري أكبر من الكلام ، إحساسي لم تعد تترجمه أحرف الأبجدية .

وهذه المرة يا مطر ... سألغي كل رسائلي السابقة ، سأمحيها ، سأحرقها ، وسأكتفي برسالةٍ واحدة ، مضمونها نظرةُ عينيكِ الدافئة ، همستكُ تحت زخات المطر بكلمة أحبكَ الصادقة ، المحملة بكمية مشاعر تغرق الحي بأكمله ، سأكللها بقبلة الحب الأولى والتي ستكون بداية الحياة لكلينا .

*****

أضغاث آلام

شهد سواكرى

كانت طقطقة قطرات المطر على زجاج النافذة تعزف مقطوعة شاعرية؛ يتخلّلها أزيز أغصان الأشجار العارية، المرتفعة نحو السّماء كأيادِي قوم يطلبون غفراناً ورحمة من ربهم؛ في يوم كثُرت فيه الأهوال، ونحيب الرياحِ يزيد من حزن الأجواء؛ لِيعمَّ القلبَ وجعٌ يقطّع نياطه.

أطلق جهاز المكرويف صافرة انتهاء وقت التسخين؛ عادت من شرودها تاركةً النافذة الزجاجية وراءها واتجهت نحو المطبخ؛ أكملت تجهيز طاولة الفطور بأشهى الأطباق الصباحية؛ وأعدّت القهوة والشّاي؛ ثمّ جلست وأخذت تنادي أسماءهم بكلّ حماسة:

-ياسمين، أكرم، نِهال هيّا أسرعوا قليلا ستتأخرون عن موعد الحافلة.

سمعت صوت الصّغيرة وهي تردّد بصوتها الملائكي:

-قادمة يا أمي؛ لكنّني لا أجدُ حافظة أقلامي الملونة، لقد أخذها أكرم.

ردّت بنبرة آمرة صارمة قليلا:

-أكرم! أعِد الأقلام لأختكَ الصغيرة وأسرع إلى المطبخ سيفوتك باص المدرسة.

انحبست الأنفاس للحظة وانقطع كل صوت في البيت إلا معزوفة الأوجاع؛ ظلّت مستمرة دون هوادة.

عندما تعيش السّعادة في قطعة خبز بالية، وحضن أمٍّ دافئ تحت صقيع الثّلوج؛ وعواصف الأمطار الغزيرة التي تتسرب برودتها إلى فراشك عبر ثقب في سقف بيتكم، وسكون

الليل المهيب المريح في آن واحد؛ سيكون صعباً جدّاً أن تجدها في بيت واسع بنظام تدفئة أرضي، وطعام شهيّ طازج، في بلادٍ لغةُ أهلها تجعل لسانك أعرجَ.

تخرجت مريم من معهد الهندسة البحرية متفوقة بامتياز، وكان أشرف ينتظرها بقلب متلهّف؛ عقدا قرانهما خلال أشهرٍ قليلة؛ فملأت السعادة قلبيهما وبيتهما المتواضع جدّا.

حصل أشرف على وظيفة كاتب صحفي في وكالة لأحد الجرائد المحلِية، فبدأت أوضاعه المادية بالتّحسن؛ وكذلك زوجته المثابرة المجدّة التي استلمت وظيفة أستاذة على أساس المسابقة، في المعهد نفسه الذي درست فيه.

بدأت حياتهما بالسكينة واستمرت كذلك سبع سنوات كاملة إلى أن رمت السّماء رداءها الأبيض؛ وتوشحّت أطرافها بالسّواد، وبعثرت الأرض خضرتها؛ وجمعت شتات أحزانها لتلقيه دفعة واحدة على سكانها؛ عندما اكتملت الأحقاد في جوف طغاة السلطة، دبّت آلة الموت فوق الأجساد، فابتلعتها دون مضغ، مزّقت علاقات الأصدقاء؛ شرّدت الأطفال وخلّفت الكثير من الثّكالى والأيتام؛ أحرقت المدامع وبحّت الحناجر، شوّهت الوجوه وأخفت كل جمال في العيون؛ ووأدت كل البسمات على حواف الشفاه.

عاشوا ثلاث سنوات أخرى تحت رحمة القصف والحصار؛ فقدوا الكثير من أفراد عوائلهم وجيرانهم، إلى أن انتهى بهم المطاف فارّين من أرضهم نحو أرض عدوّهم.

رفعت مريم شوكتها لتلتقط لقمة مرارة العيش وتلقيها في جوفها، ظلت كذلك تتجرع مرارة الموت على قيد الحياة حتى أقبل زوجها أشرف بقامته الشاهقة، وتقاسيمه العربية، وشعره الكثيف الفاحم، ظهر على شاشة التلفاز وهو يقدّم تقارير إخبارية عن أحداث تخلّفها آلة الدّمار على بقاع تلك الأرض الطاهرة بدماء أبريائها؛ المرويةِ تربتها بدموع أيتامها وأراملها.

ظلت مريم تحدّق في وجه زوجها لدقائق قليلة ثمّ غيّرت القناة، كأنّها تقول له "كفّ عن قول الأكاذيب؛ فعدّ أرواح الموتى ونقلها على شكل أرقام؛ لا يساوي ثانية واحدة من ألم المثول أمام الموت وجها لوجه".

أكملت مريم كأس شايها وهي تتطلع إلى سيول المطر الغزيرة التي تندفع نحو الأرض معانقة تربتها ومحدثة ندوبا في قشرتها، كأنّ الحنين والشّوق استبدّ بها؛ فحوّلها إلى أيادٍ ضخمة تلقي بقبضتها على صدر حبيبها فترديه صريعا.

بعد هذا المشهد العنيف تطلّعت إلى صور كانت مرصوفة على رفّ معلّق؛ صاحَبَتها بعض القِطع الأثرية، أعينهم كانت تلمع فرحًا بأخضرَ زيتونيّ، وشفاههم باسمة ارتسمت وسط وجوه بيضاء كأنّها البدر واكتمل؛ كانت ياسمين أكبرهم سنّاً وأكثرهم شغبا؛ تبدو على أكرم سمات الوقار وهو صغير، لا تحيد البراءة عن تقاسيمه اللّطيفة؛ ونهال تشع من محياها الحياة بكل أفراحها وألوانها.

وقفت متأمّلة الماضي الجميل وهو ينسحبُ من تحت قدميها كبِلاط متحرّك، عمّت أجواء البيت ظُلمة قاتمة أفقدتها توازُنها، جلست على الأريكة وهي تُمسِك برأسها كأنّها تحاول دعمها حتى لا تنفصل عن جسدِها.

سكُون مرعب كأنّ الصمت يطلقُ صراخا مدوّيا؛ لكنّه ثقيل يصل إلى الآذان فيصيبها الصّمم، ألم حاد يتوسط فؤادها فتشعر به كحجر ناريّ ملتهب، تنصتُ قليلا فتسمع همهماتِ صغيرتها وهي تداعب دميتها؛ تناديها لكن لا جدوى صوتها غير مسموع كأنّ حبالها الصوتية مشدودة إلى جوفها بصخور ضخمة، تلتفت فترى ولدَها وهو يعانق والده ويقبّله؛ ترفع يديها الاثنتين لتلوح لهما لكنّهما لا يُبصرانها، تحدّث نفسها: "ربّاه أين أنا أليس هذا بيتي وهؤلاء أسرتي أولادي وزوجي؛ إلهي عطفك ورحمتك؛ أين نفسي لا أجدها في هذا الظلام"

تتبدّد صور أبنائها الثلاثة وتبتعد كبيرتها وهي تودّعها بابتسامتها الرقيقة؛ تصرخ باسمها منادية!! لاجواب...

تبحث بعينيها عن نور تتجه إليه فلا تجدُ إلا فوهة كبيرة تلفظ الظلام والألم، تظهر صور المباني المحطمة، سماء تمطر صواريخ وقنابل؛ جثث في كل مكان ودماء أغرقت نصف أجسادهم، كومة خراب تتجلّى في الأفق، إعصار شديد السواد، تحاول الهروب فتجد نفسها جثة ثقيلة لا تستطيع حراكاً

"ربّ العباد أنت أرحم الراحمين؛ أهذا كابوس أم حقيقة؟"

ضربات قلبها تكاد تكون كطلقات رشّاشٍ، تستشعر أطرافها فتجدها باردة كجبين ميّت؛ وعلى وجنتيها دموع ملتهبة...

يرنّ هاتفها فتلتقط أنفاسها بشهقة، كغريق عاد لتوّه من الموت...

تردّ بصوت ضعيف منهكٍ:

"ألو، نعم!"

يجيب المتصل بصوت مرتعب:

"مرحباً مريم، هل أنتِ بخير؛ آسف لم أستطع الاتصال في الليلة الماضية؛ تأخرت رحلة الطائرة فوصلتُ متأخرا إلى الوكالة"

"أنا بخير لا تشغل تفكيرك كثيرا"

-"سأعود هذا المساء؛ هل أخذتِ دواءك؟ أرجوك لا تتهاوني كوني بخير حتى أعود"

استجمعت قواها لتطمئنه قائلة:

-"أخذت الدواء في وقته؛ سأنتظرك مساءً"

"حسنا أستودعك الله"

أقفلت الخط وأخذت تنظُر إلى صور أبنائها مرة أخرى.

عندما تتآمر الحياة عليك، تعقدُ صفَقةً مع الأوجاع لتجعلك أنت صاحبَ الإمضاء أسفلها؛ فتتعهد بشرفك على خوض كل أهوالها وتجرُّع كؤوس قهرها دفعة واحدة،

عندما يُقبل عليكَ الظلام معانقاً؛ لن تجدَ بدّا من الهروب منه لأنه يحاصرك من كل الجهات؛ هكذا تفقد ثلاثاً من أرواحك المبعثرة في أبنائك عندما تتلقفهم آلة الدّمار بصاروخ، فتحوّلهم إلى كومة من اللّحم البشري والفولاذ الملتهب وسط ركام المباني والطرقات.

لتتركك وجراحك النّازفة تصارعان وحش الأيام المفترس؛ بقلبٍ منهكٍ وعقل يكاد يلتهمه الجنون.

غرفةٌ باردة ورائحة الموتِ سائدة...

دماء تنهمر وأوصال تتقطّع...

هكذا اقتحمتم أيامي في كل مرةٍ كنت أنزف روحي حتى يصرخ واحد منكم...

ثم ماذا؟ ...

تسقطون اليوم كأوراق خريف يابسة... كعصافير ضعيفة واهنة...

تتركون كلّ الأحلام، كلّ الآمال وتخلفون دهراً من الآلام...

أيّ ذنبٍ اقترفتُ لأحمِلَكم خمسين بعد حمْلِكم..

أيّ فطام يريح جسدي ويكسو العظام..

أيّ بُنيانٍ ورميمُ أشلائكم تعْبَث بخلايا النسيان..

أيّ ذنبٍ تحمِلون غير أنكم كنتم كل الآمان والمجرمُ كان حقدا أضمرته قلوب الطغيان...

يُجرعنا أنهار الكَرى ويسقينا الذّل والهوان....

*****

الاميرة نور

عائشة مكى

في قرية صغيرة تحيطها الجبال والبحار حيث الصديقان رابح وفالح يعيشان بها.
فالح يعشق المغامرات ويحب الريادة والظهور بمظهر القوي الشجاع.
ورابح الطفل الهادئ ينصت إليه.

جلس الصديقان في الفصل وأخذ فالح يحكي عن مغامراته ليلة أمس و عن الطعام الذي قدمه للفقير في الشارع المجاور له فقال:

كان يوجد في الشارع المجاور رجلاً مسنًا يقف ناظرًا إلى السماء يدعو ربه أن يرزقه بعضًا من الطعام فسمعه والدي فذهب إلى أمي وقص عليها حكاية الرجل،فذهبت مسرعةً لإحضار وجبة مما نتناوله وكذلك كوبًا من العصير الطازج ووضعتهم في كيس بلاستيكي أنيق ثم طلب والدي مني أن ألحق بالرجل المسن قبل أن يغادر المكان،وفي الطريق كان لا يوجد غير بصيصٍ من الضوء حيث الضباب الكثيف،أخذت أتنقل يميناً ويسارًا محاولًا رؤية الرجل المسن حتى وجدته وأعطيته الطعام،واذا بصوت إنفجار قوي يهز المكان فأصابني الرعب أنا ومن حولي ،وأثناء سيري وهرولتي تعثرت بحفرة غائرة عميقة في الطريق فسقطتُ فيها وأخذت أصرخ وأنادي لعل أحد يسمعني ولكن دون جدوى. مر وقت طويل وأنا داخل تلك الحفرة المظلمة وإذا بضوء خافت يغمر الحفرة يشع من عيون فتاة جميلة فأرتعدتُ وتوجستُ وكتفتُ جسمي بيدايا وإذا بصوتها الجميل تقول لى: "لا تخف تعالى معي، سأساعدك"، فسرت معها عبر نفق مظلم طويل فإذا بغرفة بها ضوء خافت وبها الكثير من

الزجاجات الملونة وكنت أشعر بالعطش فأخذت،واحدة وشربت منها حتى ارتويت وكان لونها أزرق ثم إبتلعت ريقي وجلست،واذا بالفتاة تصرخ وتصدر أصوات عالية لم أفهمها.

واذا بى أتحول إلى قطة سوداء ،فأرتعدت أكثر وأكثر وكأن الرعب يمزقني فسألتها ماذا حدث!؟

فقالت بصوت خفيض: لقد تناولت "أكسير الحياة".

فسألتها: وما هو "إكسير الحياة"!؟

فقالت: هو سائل أزرق اللون يُعتقد أنه عبارة عن قطرات توضع على الفضة فيتحول من يشربها إلى شخصية إسطورية.

قُلت لها: ومتى عُرف هذا السائل!؟

قالت: منذ عهد القدماء وهو مرتبط بإسطورة الإله" تحوت" عند القدماء،أو شخصية "هرمس الهرامسة"وهو شخصية مهمة وفي ذات الوقت إسطورية وهو من سكان بابل الذين هاجروا إلى مصر حيث عاش قبل الطوفان بصعيد مصر الأعلى، وهناك روايات أنه النبي "إدريس" عليه السلام، وهو أول من خط بالقلم وحفظ العلوم التي وجدت في عصره بالكتابة،وكذلك أول من خاط الثياب.

جلست الفتاةعلى مقربة مني وبالقرب منها زجاجاتين ذات لونين مختلفين كان لهما رائحة عطرية مميزة ،فأُعجبت بهما فضحكتْ وقالت لي: هيا نتذوقهما سويا

فأخذتُ زجاجة ووضعتها في جيبي وشربت من الأخرى. بعدها وجدت نفسي ذئبًا بين عدد من الذئاب ولم أجدها أمامي. عرفت حيئذ أني في العالم السفلي.

عندما رأيت الذئاب وقد أهتزت أرجائي وفزعت منهم فقد كانت الذئاب جائعة،وكانت تبحث عن صيد لها ،وعَرفت أني غريب عنهم، فأرادوا أكلي.

حاولت أن أتماسك وأتمالك خوفي رغم الزعر الذي يسيطر علىَّ، وإذا بالذئاب يريدون الهجوم علىَّ،فحاولت في البداية مبارزتهم حتى ضعفت قوتي فأخذت أفكر وأفكر في طريقة أخرى للتخلص منهم أو لتجنبهم فبدأت بإقناعهم أنني واحد منهم وأني أستطيع الدفاع عنهم.

بعد وقت طويل أقتنعوا بذلك وبعدها سيرت ببطء شديد دون أن يلاحظوا حتى أختفيت بعيدًا عن عيونهم فشربت من الزجاجة الأخرى فتحولت إلى ما كنت عليه في البداية،فغمرني الفرح ، لقد تحولت إلى فالح.

وعندما حل الليل وأحتضنه الظلام حملت مصباحًا صغيرًا وقلبي يملأه الرعب ومشيت عبر نفق مظلم وقلبي يهتز من الخوف من أن يلحق بى الذئاب وفي طريقي قابلت أميرة جميلة قد ضلت طريقها.

كانت تشبه أميرات ديزني ،فتذكرت الفتاة الجميلة التى كانت معى في النفق ، ثم سألتها عن إسمها فقالت: نور

شعرها أسود كسواد الليل ووجهها أبيض كبياض الثلج ترتدي فستانًا أزرقًا ومعها عقد من اللؤلؤ ترتديه في عنقها فسألتني عن إسمي

قلت: فالح

قالت: هل لك يا "فالح"أن تساعدني،ولك الأجر والثواب،

قلت سريعاً :نعم ،نعم أعدك بذلك.

قالت انا حورية البحر وأريد أن أعود إليه،فأنا لا أعيش إلا في البحار والمحيطات فهل لك أن تساعدني؟

فُزعت من كلامها وقلت لها: ولكني أراكِ مثلي تماماً تتحدثين كما أتحدث ولك قدمين فكيف تكونِ حورية البحر!؟وكيف تسبحين فيه!؟

فقالت كنت صغيرة وكنت ألعب مع الأطفال فتركتهم وذهبت بعيداً فقابلت ساحرًاعجوزاً فقال تمني أمنية وسوف أحققها لك إذا شربتي هذا السائل الأزرق، في البداية كنت خائفة جداً ولكني تخيلت نفسي أميرة متوجة في أعماق البحار والمحيطات والكل يحتفي بى وينفذ أوامري فسُررت لذلك وشربت السائل، فقال لي سأعطيك عقدًا من اللؤلؤ لابد أن ترتديه دائماً حول جيدك وإذا خلعتيه سوف تخرجي من البحار ولن تعودي إلا إذا قابلتِ رجلاً كان في العالم السفلي ثم رجع، وكنت قد نزعت العقد من جيدي فخرجت من البحر،والآن أريد العودة إلى البحر.

أخذت أفكر في توجس مما قالته الأميرة نور ،هل هى إنس أم جن ولكني في النهاية قررت أن أنفذ وعدي لأن أمي كانت تقول دائماً: (وعد الحر دين عليه)

وكذلك ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ [الرحمن: ٦٠]

فقلت أنا أوصلك إلى البحر.

بعدها أخذت أبحث عن شئ يحملنا إلي خارج النفق لنصل إلى شاطئ البحر ، فجأة تذكرت الزجاجة التي معي فشربت منها فتحولت إلى بساط سحري.

فسرت حاملاً الأميرة نور،وكنت سعيداً للغاية.

عندما وصلنا إلى الشاطئ والبساط يحملنا و إذا بقطة سوداء أخذت تنظر بتمعن في الأميرة،واذا بفأر يقترب من البساط والقطة تقف وتنتظر وتحدق فينا وكأنها تقول لا أحد يتحرك .

وإنتظرت القطة حتى قرب منها الفأر فأنقضت عليه وألتهمته دون رحمة.

ففهمت الأميرة أنها الساحر العجوز ،وفهمت أنا أنها الفتاة التى ساعدتني في النفق وفجأة تحولت إلى الساحر العجوز وأخذ ينبش بالقرب من الشاطئ حتى أخرج صندوقاً من

المجوهرات واعطاه لى،فكنتُ سعيداً غاية السعادة ولكني رفضت أن أخذ أجر مساعدتي للأميرة.

وفي الصباح الباكر وقبل أن تشرق الشمس كان علىَّ أن أوفي بالعهد وتصل الأميرة إلى داخل البحر كما وعدتها وفجأة أغشى علىَّ فنمت وإذا بى فى قصر كبير ممتلئ بالمجوهرات والذهب ويوجد الكثير من الخدم والحراس واذا "بالأميرة نور "جالسة بجواري تضحك ونغني معًا.

استيقظت من النوم ،ثم أخذت أبحث عن الأميرة على الشاطئ. وفي رحلة البحث سمعتها تقول للرجل العجوز:

أنها تحبني وتريد أن تبقى على الأرض معى ولا تريد العودة إلى البحر ثانية فطرت فرحًا وأخذتُ أرقص وأرقص وتخيلتُ أنها ترقص معي وتجلس في القصر بجانبي و" العجوز الساحر "يقول لى عليك أن تستعد لتكون أمير البحار ستتزوج من" الأميرة نور"

فحدقت فيه فوجدته "العجوز" الذي أعطيته الطعام.

ثم استيقظت من النوم "يا رابح"

فضحك" رابح " وتهلل وجهه وعند إنتهاء اليوم الدراسي عادا الصديقان رابح وفالح كل إلى بيته و تناول رابح وجبة الغداء ثم ذهب لقيلولته ليسمع أمه تحكي عن حلم جميل قد رأته ليلة أمس،حيث دخلت قصرًا ممتلئاً بالألماس ونفيس الجواهر فيطلب منها رابح أن تهديه هذا الحلم كي يشتري كل ما يريد ليصبح أسعد وأغنى من كل أصدقائه فتقول له أمه أي بني: السعيد ليس من يملك كل شيء،بل من يرضى بما قسمه الله له فليظنك الناس من عفتك غني،ومن جلدك متنعم،ومن كتمان غضبك راض شاكر،فلا تتباهى بما تملكه أمام من لا يملكه،ليستيقظ رابح وهو يقول الحمد لله على كل حال.

*****

على حافة الانتظار

شرين رضا

انقضت ساعة الغداء، وانصرف أفراد العائلة كلٌ إلى منزله أو عمله، وجلس الأستاذ محمود يودع أماكنهم في حزن..

فبعد أن تزوج أولاده انفض الجميع من حوله ونسوه، وأصبح يساومهم لكي يأتوا لزيارته مرة كل شهر، يتناولون طعامهم ثم يحملون حقائبهم ويرحلون.

فيجلس يُشيع جنازة رحيلهم في صمت، يحتضنهم شوقه إليهم ليكبلهم داخله حتى يسكب ماء عينه عليهم.

فقد بلغ من العمر ستين عاما ماتت زوجته، وتزوج أولاده، وأصبح بينه وبين الوحدة وصالا لا يقطع سوى بالموت.

يجلس كل يوم ينظر لألبوم ذكرياتِ تركه الجميع خلفهم.. يتصفحه يتناول منه ذكرى تُزيل عنه جوعه إليهم، ولكن وحدته تشتد عليه قارصة بقوة تاركة داخله مرضا لا علاج له.

ووصل به اليأس إلى أن أنتقل إلى مبنى آخر لعله يقتل الفراغ الذي يسكنه منذ زمن وهناك تعرف على جاره مصطفى شاب في العشرين من عمره يدرس، ويعمل في إحدى الشركات الخاصة لعمه، يعيش في شقة شقيقته المهاجرة ليكون قريبا من عمله ودراسته، وقد نشأت بينه وبين الأستاذ محمود صداقة قوية.

ومنذ تلك اللحظة وقد اعتاد مصطفى المرور عليه كل يوم بعد عودته من عمله وأصبح رفيقا له، وعكازا يستند عليه وقت الحاجة.

فخمس سنوات قضاها بالقرب منه صار له بمثابة الأبن الذي تبناه من الحياة ليشق معه وحدته التي تصارعه منذ وصوله إلى المعاش، والصديق الذي يتكئ عليه.

واعتاد مصطفى مرافقته بل واللجوء إليه كلما اشتدت عليه الأزمات، وحاولت مضغه، فكان الاستاذ محمود يشد من ازره يطعمه من قوته التي كان يختزلها من الايام، حتى أصبح مصطفى في طور بنائه أقوى مما يبدو عليه.

وظلت زيارة أولاده مكافأة له كلما دفع لهما اتوا لتكريمه بوجبة طعام جاهزة قد دفع ثمنها مسبقا.

وذات ليلة عاد مصطفى من عمله باكرا.. فصعد إلى شقته وقبل أن يدلف إليها نظر لشقة الاستاذ محمود فوجد الباب مفتوحا.. وتلك لم تكن عادته، فشعر بالقلق وأقترب من الباب، وطرقه ببطء ولكنه لم يجيبه، فعاود طرقه مجددا وعندما لم يأتيه صوته فتحه ودلف إلى الداخل وظل ينادي عليه حتى لمح ضوء الغرفة أمامه مضيء.

كانت تلك الغرفة دائما ما تكون مغلقة فقد منعه الأستاذ محمود من الاقتراب منها.

ولكن جذبه القلق والفضول، وأقترب مصطفى ووقف خارجا حتى لمح ظله.

فتح الباب قليلا ودخل الغرفة وهو شاعرا بالرهبة، نظر أمامه وجده جالسا على مقعدٍ خشبي ينظر من النافذة فنادى عليه:

_ أستاذ محمود هل أنت بخير؟

نظر له وعيناه يسبح بداخلهما الكثير من الحزن والالم، ثم اشاح بنظره مرة أخرى وعاد ينظر من النافذة، وكأنه ينتظر أحدهم يمر من أمامه

لم يكن مصطفى قد راه في تلك الحالة من قبل، فجلس ينظر من حوله فتلك المرة الأولى التي يرى فيها تلك الغرفة.. لقد كانت صغيرة بالكاد يتسع بها فراشا صغيرا وكرسين وطاولة خشبية يبدو أنها قديمة جدا.

كانت الغرفة يبدو عليها الحزن كصحابها ولوحة لامرأة عارية تتكور بجسدها كالطفل الوليد يبدو أن من رسمها امرأة فهناك بقع سائلة بدت كالدمع وكأنها تبكي.

مرت ساعة والاستاذ محمود ينظر نحو النافذة بصمت فقام مصطفى يُحدثه بعد موجة الصمت التي قاضها ينظر فيها إليه، فوقف أمامه يحدثه ولكنه لم يجيبه فظل جالسا بصمت غير مبالي بوجوده، وكأنه ما عاد يرغب في بقائه، فأقترب منه يخبره برحيله، ومد له يده، ولكنه أبى مصافحته، فأستدار ليرحل وتركه لغموضه الصامت، وإذا به يستمع لصوت سقطة قوية من خلفه.. نظر إليه وجده ممددا على الأرض، شاحب الوجه، أقترب منه بسرعة لمساعدته، ولكنه كان سريعا كعادته، فسبقه الموت إليه وأخذه ورحل.

حمله مصطفى ووضعه على فراشه، ثم جلس جانبه يتأمله، سقطت من عينيه دمعة فتوالت بعدها الكثير من الدمعات، وظل يحدث نفسه كيف ابتعدت عنه في الأونة الأخيرة وتركته وحيدا، يعيش غربته في كنف غرفته المظلمة بلا يد تربت عليه كيف لم أستمع إليه كما كان يفعل معي.

لقد كان له الأب والصديق ووهبه من نفسه كما لم يفعل أحد له من قبل

وصارت نفسه تعاقبه، وحينها لمح ورقة مطوية جانبه تحمل اسمه، فأخدها، وكانت رسالة منه قد تركها له:

صديقي العزيز لا تحزن لرحيلي لقد كابدت أيامي الأخيرة في ألمِ لم استطع مشاركتك به لقد كان مؤلما حد البكاء على روحي، ولهذا فضلتُ أن أتحمله وحدي ولكني تركت لك اليوم باب الغرفة مفتوحا، فقد خشيت أن أموت وحيدا فلا تبكي.

*****

ورق أبيض

اليعقوبى فدوى

"أنت أنثى كاملة، فماذا تركت لبقية النساء "... هكذا كان يقول لي فأحس بزهو امرأة امتلكت عطر الكتابة و أسرت رجلا فاخر البذخ، لم يكن يشبه سواه في خيال عاشقة مثلي، فارتميت ببراءتي وجنوني في حضنه كأن امرأة لم توجد قبلي . حين بدأت حكايتي معه فشلت في كبح مشاعري ، وتركتها تنط وتتكاثر كقطط صغيرة حولي ، وما تعلمته من حكمة انهار عند أول اختراق أو ربما أسأت التعبير هو في الحقيقة أول احتراق .

بدأت حكاية عشقي وسط التصفيق، وأنا أعتلي المنصة وألقي أحد نصوصي القصصية، لم أكن أعلم أن وسط البريق تولد الحرائق، من كان سيخبرني حينها توقفي أيتها المخبولة لا تلهثي أبدا وراء رجل...

تصافحنا غريبين في البداية ، أمسك يدي بطريقة دونجوانية صرفة تنم عن خبرته بالنساء :

منى العابد ، نصك مذهل ، قد يمنحني اليوم جرعة إلهام لأتمم روايتي

أسعدني إطراؤك سيد سليم، لكن أين أنا من كاتب مثلك، ابتسمت بخجل سيدتي، لحرفك أتواضع اليوم.

كان عطره يلفحني كلهيب النار فصمتت ذاك المساء ، وانجذبت لعينين بلون اللهب تبرقان وسط وجه طويل أسمر، كان أنيقا و عفويا ، لبقا وساحرا جدا ، لا أعتقد أن كلامه قد سمعته كله فما تسرب منه لذهني قليل جدا، حتى أنني عندما غادرت وتوسدت فراشي لم أتذكر سوى ما قاله عن موعد قريب سيجمعنا في الأسبوع المقبل موعد توقيع روايته.

كلما تهيأت للأفراح وبالذات أفراح الحب، كلما كانت فجيعتك فيها أكبر، لهذا توشح بالخيبة وسوء الظن واهدأ في سكون لمصلحتك ، كنت أدركها في قرارة نفسي ولكن التغابي صفة أصيلة في المحب لأنه يجعله يتغاضى عن ما يقض انتظاره، فما كان من بد سوى أن أصرف كل مليم أمتلكه على مظهري لأبدو في احتفاله في كامل جمالي كأنثى تهفو للحب والحياة .

وسط القاعة المكتظة يقف بقامته المديدة يعتمر قبعة سوداء وبذلة أنيقة من اللون نفسه يلف منديلا حريريا حول عنقه وعطره يسبق لهفتي و خطواتي الخجولة ، ألقى كلمة شكر وبعدها بدأ يقرأ بصوت عميق مقتطفات من روايته، بمجرد أن أنهى الكلام تحلق حوله المعجبون ، بالكاد استطعت أن أحصل على توقيعه ، ووليت حانقة أجر أذيال الخيبة.

للعاشق دائما طقوس خاصة تحميه من الارتداد للخلف، يتلذذ بمازوشيته و يقر بضعفه أمام سطوة المحبوب، لذلك عوض أن أجرب النسيان ، جربت الذكرى وأعدت التفكير باللقاء الأول كأنه حدث من جديد كنت أنغمس فيه رويدا رويدا...

تذكرت أنني لم أقرأ بعد إهداءه ففتحت الرواية بسرعة، كان خطه أنيقا جدا بحروف واضحة :

كل الجميلات أنت، فلا تحبي كاتبا يترنح تائها بين النصوص، ثم ذيل الجملة برقم هاتفه، غريب هذا الرجل يحذرني منه ثم يغريني برقم هاتفه ؟ و من كان سيلتفت للإشارات والتحذيرات وهو فاقد بوصلة المشاعر

فاجأته باتصالي في الصباح ، أجابني بصوت مبحوح :

على فكرة مجموعتك القصصية قرأتها أمس ...

ما رأيك ؟

صمت طويلا ثم أجاب بصوت هادئ :

أنت موهوبة ...فقط تنقصك التجارب، لا تقلقي، ستتعلمين ! ثم أضاف بحنو: سأكتب مقالا نقديا عنها أعدك.

صرخت بجذل: هذه أكبر دعاية لي، قصصي ستنفد من المكتبات

أجابني ضاحكا: هاتي حصتي من الأرباح إذن !

لم يمر أسبوع إلا ومقاله يتربع على أشهر جريدة في البلد فتلقف القراء مجموعتي القصصية بنهم، مما جعل الناشر يتصل بي ليزف لي الخبر، ويلح علي لكتابة مجموعة جديدة.

الحب في أوله عطاء مجرد من أي سوء نية يكون كريما و لا يطالبك بأي مقابل حتى تعتاد وتزداد غوصا ثم ينقض عليك ويطالبك بما يفوق ما منح.

التقينا لنحتفل بنجاحي وبنجاح روايته ، قال لي :

أنا أجمل ما وقع لك

أجبته بحنق: يا لك من مغرور !

قرب وجهه مني حتى كاد أن يلتصق بخدي : اعترفي هيا

كنا قد تواعدنا على الحب من أول لقاء دون أن ندري فغرفنا منه في تلك اللحظة ما شئنا ، تركته يلمس يدي لأول مرة فلغة الأجساد تفوق كل اللغات في بوحها ، اعترتني رعشة خفيفة فارتجفت أمامه لأذيع له سري الأخير، كنت أنتظره أن يهمس بها لكنه سكت فجأة، كانت نظراته مليئة بالشوق واللهفة تمتم معتذرا : لنذهب.

ذكريات السعادة التي امتلكناها في لحظة ما هي ما يجمل قسوة الانتظار ويجعلها محتملة بل ولذيذة ، انتظاري لهاتفه أن يمطر كانتظار طفلة هدية عيدها ، فأصبحت مساءاتي رهينة الهاتف أتفقده و أتأكد أنه مشحون بالطاقة ، أما طاقتي أنا فكانت تنخفض...

كان قد مر أسبوعان على اختفائه فأرسلت له رسالة نصية ، وترقبت الجواب الذي لم يأت إلا بعد مرور أيام

أعتذر عزيزتي مشغول جدا ... بالرواية

حاولت أن أجد له كل المبررات الممكنة والمستحيلة فقط ليظل الأمل حيا بداخلي، ولكن الأعذار تلاشت ومر الوقت طويلا بائسا حتى كدت أن أختنق، حاولت الكتابة فلم يطاوعني القلم ولا الحروف فالتقيت بصديقتي أشكو بعده ...

يا لك من مجنونة كيف تتعلقين بسليم العامر ألا تعرفين من هو، يعرف نساء بعدد شعر رأسه !

لست مثلهن ...

أخاف عليك منه، أتمنى أن لا تكون سقطتك مدوية

جاء اتصاله ذات صباح فالتقينا في المقهى حيث يكتب كل يوم، اعتليت بضع درجات قليلة لأجده جالسا يكتب، أمامه تبعثرت الأوراق ، لملمها وهو يعتذر : أكتب الفصل الأخير ...فاعذريني على الفوضى

كان أغلب الوقت صامتا يتأملني، ثم ينحني ليملأ البياض أمامه ، كانت فرصتي لأشبع من تفاصيله كلها ، كنت أراقبه يكتب بكل جوارحه دون أن ينتبه للهفتي.

تنهد بارتياح : لقد انتهيت... ثم ضغط على يدي بحنان : هل تعلمين الفضل لك؟

- سألته بدهشة : كيف ؟

- منى، أنت ملهمتي

أحسست بغصة ما في حلقي لم أعلم سببها، ولكنني فرحت جدا لأنه أنهى الرواية تستحقين دعوة فاخرة على العشاء

كان لي نصيب أن ادخل مملكة سليم العامر، بيته المميز الذي لا يدخله إلا من حظوا بحبه، فتح لي الباب بطريقة مسرحية وجذبني إلى الداخل، على فكرة أنا من أعددت العشاء ستكونين الليلة أميرة

ربما مثل "ساندريلا" التي انتهى حلمها بعد الثانية عشر ليلا

لا تخافي، لا قوانين في مملكتي !

يا سيدي عدم وجود القوانين هو أكثر ما يخيفني، أن نعيش شريعة الغاب فتقودنا حينها الغريزة ، هل هذا ما يعدني به سليم العامر؟

على ضوء الشموع والموسيقى تناولنا العشاء بطقوس خيالية فرقصنا على أنغام الشوق همس في أذني: لننس قليلا قهر الفراق ونتجرع نبيذ الحب

كنت قطعة شمع ذائبة ، فحاول أن يعيد تشكيلي بين أصابعه كيفما يشاء ، ضمني إليه للحظات ، لحظات كانت كافية لأعرف نهاية حكايتي معه ...شدني بقوة وحاول أن ينزع قميصي... فصددت اندفاعه العنيف ، لمعت عيناه بغضب :

لا توجد امرأة على الأرض ترفض سليم العامر يرضخن جميعهن لي في النهاية ...

دون كلمة، صفقت الباب ورائي وذهبت، فكرت أن المرأة عندما تحب تكون أقرب للخبل منها للعقل، ولا تنتبه إن كانت واقعة بين فكي ذئب أو رجل، ذئب يترنح بين النصوص و يختبر فحولة قلمه على ورق أبيض.

*****

ممثل

احمد جمال الدين رمضان

انتهى من أداء دوره على المسرح .. تلقى تصفيق الجمهور الباهت له كالعادة .. خرج سريعاً .. بدل ملابسه على عجل .. تطلع للساعة .. تأخر على موعده المنتظر مع حبيبته .. لم يحاول أن يتصل بها للاعتذار .. لا بأس أن تنتظره قليلاً ..

يعلم أنها تحبه .. وهو يحبها أيضاً .. لنقودها .. أرملة غنية أوقعها القدر بين يديه فاستغل الفرصة جيداً .. تعدت مرحلة الشباب من فترة طويلة لكنها ما زالت تتمتع بمسحة من الجمال وخفة ظل ساحرة ولكن يظل أجمل ما فيها نقودها .. لم يكن من السهل أن يوقعها فى شباكه .. عانت من جفاف المشاعر طويلاً ففقدت ثقتها بنفسها أولاً، وبإمكانية أن ينجح أي رجل في انتشالها من أزمتها وتحريك عواطفها المكبوتة مرة أخرى .. أدرك ذلك بخبرته بعد أن جمعته الصدفة بها .. سعى وراءها طويلاً حتى نجح فى لفت انتباهها فقط .. تقرب إليها ببطء لكن بخطوات رسمها جيداً .. مثل عليها دور العاشق ببراعة يتقنها وأقنعها أن هناك باباً للسعادة لم تطرقه، وعالماً أجمل من العشق لم تختبره يمكن أن يقودها إليه .. أغرقها بكلماته المعسولة وأغراها بوعود كثيرة لم يعد بإمكانه فى تلك اللحظة تذكرها فأسلمت ببطء وعن طيب خاطر إرادتها له .. أجاد اللعب ببراعته على وتر مشاعرها حتى امتلك عقلها قبل قلبها .. وعندما تأكد أنها تحبه .. بدأ في استغلالها

أرتدى أفضل ملابسه .. لا يريد أن يتأخر عليها أكثر من ذلك .. يحتاج أن يقترض منها مبلغ من المال لسداد بعض ديونه وتدبير أموره المالية المتعثرة مؤخراً .. فى آخر لقاء بينهما

عاملته بقليل من القسوة والشك عندما طلب منها مبلغ من المال، وها هو يعاقبها .. وصل إلى هناك فرآها بانتظاره .. لمح ملامح القلق ترتسم بوضوح على وجهها دون أن يبالي .. انطبعت على وجهه أبتسامة ثقة واضحة تضاءلت سريعاً حتى اختفت تماماً وهو يقترب منها .. جلس بجانبها وهو يلقي عليها تحية عابرة دون حرارة وعلى شفتيه ترتسم ابتسامة باردة .. لم يحاول الاعتذار عن تأخره غير المعتاد .. تركها تعاتبه لدقائق كما توقع .. تحجج بأعذار واهية يعلم جيداً أنها لن تصدقها .. ثم بدأ يبادلها العتاب هو الآخر لمعاملتها القاسية معه .. دقائق وبدأ يدير دفة الحديث لوجهة أخرى بعد أن تأكد أنها تشعر بذنب تصرفها السابق معه .. أمسك بيدها محاولاً أن يعود بالحديث إليها .. بدأ يبثها مشاعره .. كلمات ناعمة داعبت خيالها ولمست مشاعرها .. بادلها نظرات تنطق بعشق دافئ لم تستطع إلا الاستسلام في سحره .. ثم بدأ يشكو تدريجياً من صعوبة الحياة .. وديونه المتأخرة .. تلك المرة عندما طلب منها مبلغ من المال لم تعترض .. عاوده مرحه المحبب المصطنع برفقتها عندما أيقن من تحقيق هدفه كما خطط .. سهر معها حتى الصباح، وتركها بعد أن ربح جولته الهامة معها ..

*****

في الصباح نهض متثاقلاً .. تطلع للساعة فقفز مذعوراً .. ذهب للعمل متأخراً كالعادة .. تهد بضيق وهو يخطو داخل المكان .. ذلك العمل التقليدي الممل .. لولا أن راتبه من عمله المسائي لا يكفيه ما واصل فى تلك الوظيفة .. لو معه نقود لكان عمله الصباحي على رأس قائمة من الأولويات عليه أن يبدأ بالتضحية بها دون تردد .. ولكن بجانب الراتب، ما زال عمله يمنحه مكانة أجتماعية خاصة يحتاجها لاحقاً .. وصل متأخراً .. توجه لرئيسه فى العمل محاولاً التظاهر بالمرض .. لم يكن بحاجة للتمثيل .. ملامح وجهه المرهقة وعيونه المنتفخة والشحوب الذى يكسو جلده أدلة لم يبذل جهداً لافتعالها تشير إلى مرضه بوضوح .. تقدم من رئيسه ببطء وهو يخطط لما سيقوله .. لم يكن خائفاً رغم قصوره والعقاب الذى يترصده

إن لم يفلح في تقديم أعذراه .. يجيد التعامل مع رئيسه فى العمل على أي حال .. رجل طيب إلى أبعد حد لا يسمح ببوادر سوء نية تجاه أحد أن تتسلل بداخله وهو ما يساعده على أنجاح مهمته بأستمرار .. يعرف كيف يرضيه .. رسم على وجهه ابتسامة شاحبة وهو يدنو من رئيسه.. وعلى وجهه علت ملامح جد تمتزج ببعض الأرهاق .. خاطبه بصوت ضعيف وبكلمات منمقة يجيد حفظها .. ليست تلك أول مرة يتظاهر بالمرض ولن تكون الأخيرة كوسيلة فعالة يلجأ إليها دائماً لتبرير تأخره .. أقنعه أنه سهر لوقت متأخر فى حفل زفاف قريب له كواجب لا بد من تلبية نداءه ولا مفر منه، فاستيقظ وقد تسلل إلى جسده المرض مستغلاً حالة الأرهاق التي أصابته من طول سهر لم يعتاد عليه .. تسلل صوته المرتعش إلى رئيسه قبل أن يرفع الرئيس عينيه عن بعض الأوراق ليتفحص وجهه المحتقن ملياً .. لم يكن فى حاجة لأدلة أكثر .. آثار المرض البادية بوضوح عليه تشفع له ولا يمكن أن تكذب روايته .. طالبه بالراحة ونصحه بالابتعاد عن أي نشاط آخر شاق لبقية يومه .. استمع لنصيحته باهتمام لا تخطئه العين متقبلاً أياها بامتنان بالغ .. نجح فى أقناعه مرة أخرى فأفلت من عقاب جديد ينتظره .. أبتسم لنفسه مهنئاً وهو يغادر المكان على نجاح كان يثق سلفاً في حصده

*****

في المساء قابل بعض أصدقائه على المقهى .. عادة يجتمع بهم في بداية المساء قبل موعد ذهابه للمسرح بساعتان .. يهوى الجلوس معهم .. يروي لهم تفاصيل يومه وبعض مغامراته مع الممثلات يغلفها دائماً بإطار صاخب من وحي خياله يثير بها فضولهم .. يستهويه رؤية نظرات الإعجاب وهي تلون أعينهم تجاهه .. قصصه ومغامراته لا تنتهي ينصب نفسه فيها دائماً بطلاً على خلاف الواقع .. يطلعهم همساً على آخر فضائح النجوم .. بعضها حقيقي وكثير منها مزيف .. وعن علاقاته معهم .. يشبع غروره وهو يري نظرات الإعجاب الخاصة تمتزج أحياناً بكثير من الحسد وهي ترمقه .. يوهمهم أنه بطل لا يشق له غبار ومغامراته أكبر

من أن تحصيها أرقام جوفاء أو تسعها ذاكرته .. ورغم أن بعضهم شكك في قصصه من قبل، ولكنه يحتاط للأمر جيداً ولا تخلو جعبته من حيل يتقنها تكفي لأقناعهم .. صور مفبركة، ورسائل ساخنة يستقبلها على جواله وهو بينهم يرسلها لنفسه من هواتف أخرى، والأهم تسريبات حقيقية لفضائح نجوم كبار يجيد استغلالها ببراعة، وربما تضخيمها ونسج العديد من الأكاذيب والأساطير حولها .. لا ينسى يوم ساعده القدر ليشهد بنفسه بطلة العرض في أحضان ممثل مغمور فى أحدى كواليس العرض، صدفة غريبة أهداها له القدر، لم يكن يبحث سوى عن ملاذ آمن في كواليس المسرح لتدخين سيجارته بعيداً عن أنظار المخرج اللعين الذي يكره التدخين .. استغل الفرصة جيداً بعد أن قام بتصويرها لتصبح حكاية دسمة لا تقبل التشكيك في صحتها يعيدها لأصحابه مراراً على المقهى .. لم يستطع أن يمكث طويلاً مع أصدقائه تلك الليلة على غير العادة .. لديه موعد هام مع عمه لا يرغب في تفويته .. ثم بعدها عليه أن يتوجه للمسرح .. أستأذن منهم مبكراً قبل أن يتجه نحو منزله بخطى سريعة، وعيونهم ما زالت ترمقه بإعجاب خفي

*****

توجه إلى منزل عمه متأنقاً .. عمه الوحيد .. الوجه الثري في العائلة والواجهة التي يشعر بالفخر للانتساب إليها .. تاجر نشيط .. جاهل لا يستطيع القراءة لكنه ذكي يجيد بشكل تام قراءة السوق واستيعاب معادلاته الخاصة .. سمعته الجيدة بين التجار تسبقه دائماً .. جاد ومتزمت أحياناً وذلك أبرز ما يضايقه .. منذ وفاة أبيه وهو يعامله بنوع من الحنان، ولكن بقسوة شديدة عندما لا يستهويه أسلوب حياته .. صارم هو تجاهه فيما يتعلق بعبثه ولا يقبل أي أعذار يختلقها إن علم بأحد نزواته .. ولذلك يحرص على أن يبقي كل فضائحه بعيداً عن عمه .. لا يريد أن يستثير غضبه .. ويخوض تجربة تأنيب عنيفة على يديه مرة أخرى.

لولا ابنة عمه ما انشغل كثيراً بتحسين صورته أمام عمه .. تلك الفاكهة التى يترقب حصدها بفارغ الصبر .. سترث جزء من أرث عمه الكبير بالتأكيد خاصة أنها ابنته المدللة .. ليس لها سوى أخ واحد سافر للخارج من عدة سنوات على غير رغبة والده ولم يعد حتى الآن، مما أجج من غضب والده تجاهه .. وهو يعلم أن عمه إذا غضب تحجر قلبه قبل عقله .. ربما يتخذه ابناً بعد الذب عصى أوامره وغرد بحرية مطلقة خارج سربه .. وهو يخطط للتقدم لخطبة أبنة عمه قريباً رغم إفلاسه .. ولكنه يثق في مشاعرها تجاهه .. نجح فى أقناعها بحبه بسهولة مستغلاً أن لا تجارب سابقة لها .. فاز بقلبها البكر والآن يسعى للظفر بيدها .. تخلص من علبة سجائره بأن ألقاها في الطريق .. عمه لا يحب المدخنين .. مضغ علكة سريعاً لتغطية أثر رائحة الدخان المنبعثة بوضوح من فمه .. رسم على وجهه أمارات جد لا يألفها كثيراً .. استقبله عمه بالترحاب فرد عليه بود متكلف .. تناول معه العشاء برفقة ابنة عمه واستمع بأدب لنصائحه الخاصة التي لا تكاد جعبته تفرغ منها .. أوامر هي ونواهي صارمة يغلفها في هيئة نصائح أبوية ودية .. انشغل عمه بتلقي بعض المكالمات فاستغل الفرصة لتجاذب حديث خاص مع ابنة عمه .. ليست جميلة .. على الأقل مثل كثير من عشيقاته .. ولكنها تتمتع بطيبة قلب، وثروة متوقعة تمنحها في عينيه جاذبية خاصة يصعب مقاومتها، وترسم منها أميرة داخل خياله وأحلامه .. استغل غياب عمه وخطف منها قبلة سريعة توردت لها وجنتاها بعد أن تسللت إليها مشاعر خجل بكر وأحساس كبير بالذنب، وقليل من نشوة حب هو الأول الذي يطرق قلبها .. عندما عاد عمه أستأذن فى الانصراف متحججاً بعادته النوم مبكراً من أجل عمله الصباحي المرهق .. ربت عمه على كتفه بحنان، شد على يد عمه باحترام وهو يغادره .. قبل أن يخطو سريعاً يلاحق الزمن بعد أن ألقى نظرة كافية على ساعته ليدرك كم تأخر

*****

انطلق للمسرح .. بدل ملابسه .. صعد على خشبة المسرح .. بدأ يؤدي دوره بعناية فائقة دون أن يدخر جهداً .. نسى نفسه فاندمج مع دوره تماماً .. بذل كل جهده تلك الليلة .. فى الواقع لم يكن يعلم أن المسرحية يحضرها ناقد هام .. ناقد مشهور لا يختلف أي من خصومه في الوسط الفني قبل أصدقائه على جدارته، أو سطوة كلمته .. ولكنه اعتاد أن يبذل كل جهده عندما يصعد على خشبة المسرح على أي حال .. دون الناقد ملاحظاته بعد أن ظل يتابع المسرحية بتركيز تام .. في الصباح نشر مقاله الشهير مستعرضاً نقده للمسرحية بأكملها، ومكتفياً بسرد بضع أسطر بإيجاز عنه في نهاية المقال الطويل .. " ممثل ضعيف الموهبة لا يمتلك أي حضور ولا يجيد التمثيل .. أدواته كممثل محدودة بشكل واضح لم تنضج بعد .. يرتبك ويتعلثم كثيراً وينسى دوره أحياناً أخرى .. لم يثبت موهبته أو حضوره علي خشبة المسرح رغم دوره القصير الذي يمكن لأي ممثل مبتدئ القيام به بشكل أفضل .. وعلى المخرج استبداله قريباً بممثل آخر، وهناك أخبار مؤكدة على أي حال أن المخرج يفكر بالفعل فى منح دوره لممثل آخر أكثر موهبة"

*****

مجرمة

أحمد فؤاد الهادى

كان اليوم هو الخميس، موعد المؤتمر الذي دعي إليه بالأسكندرية، ورغم قيمة هذه الدعوة وأهميتها ، لم يكن يشعر في داخله بالحماس لحضور هذا المؤتمر، ولكنه لايملك حرية الاعتذار، كان يحلم أن تصحبه لتؤنس طريقه وتطيب إقامته وليظفرا بيومين على شواطئ الأسكندرية بعيدا عن طاحونة العمل التي القته بالقاهرة وقذفت بها إلى أسوان.

هي: امرأة خلقت له، تداخلت دروب حياتها وتقاطعت حتى أصبحت لغزا محيرا لم يحل حتى التقيا، امرأة على فطرتها، لاتجيد المكر ولا الكذب، بل لاتعرفهما مطلقا، تعشقه وتهفو إليه، تفتخر بكل شئ فيه، تفهمه وتحسه تماما كما يعرف نفسه ويحسها.

هو: كآت من صحراء قاحلة قاسية، يعرف قيمة الحياة ولايملكها، وجد عندها كل ماكان على وشك اليأس من الحصول عليه، سكن عالمها وتشبث بأرضها، دعاها للزواج فلم تناقشه، في الموعد تلاقيا وعقدا القران، ذهل المأذون بشخصيتها وتعجب من حبها لهذا الرجل، لاشروط ولا احتياطات، خرجت تحمله فوق رأسها، ومازال قابعا هناك.

شهور ثلاثة قد مضت دون أن يجمعهما لقاء، الأمل لاينقطع أبدا، فهما على يقين أنهما إلى لقاء، فروحه لاتغادرها وروحها لاتغادره.

كانت الساعة تقترب من السابعة والربع صباحا عندما تقدم نحو منفذ التذاكر بمحطة القطارات:

تذكرتين درجة أولى من فضلك.

الأسكندرية؟

نعم، قطار الساعة الثامنة.

نظر إليها في حنان ... احتضنته بعينها ... ربتت على قلبه بابتسامتها، في استراحة المحطة اشترى لها الشيكولاتة التي تحبها، وضعها أمامها، أحست أنه عطشان، مدت يدها بكوب الماء إلى فيه، أرتوى، قبل اليد التي روته، احتضنت يده بكلتا يديها، انحنت وقبلتها.

لم يعد يرى هؤلاء الذين ملأوا المكان حوله في انتظار القطار، اقترب أحدهم يستأذنه أن يأخذ المقعد الذي يراه أمامه خاليا، رفع رأسة ونظر إليه باستغراب:

ألا ترى السيدة؟

عفوا سيدى، لم أرها!

عاد بنظره وقلبه إليها:

عذرا حبيبتى، أناس لايعرفون الذوق.

أعلنت الشاشة المعلقة أمامه وكذلك إذاعة المحطة عن رحلة قطار الثامنة المتجهة إلى الأسكندرية، فتحت أبواب القطار ودعي المسافرون للركوب، قدمها ومشى خلفها تسبقها ذراعيه بعد أن علق حقيبته على كتفه حتى إذا أدرك الباب زاحمه شاب من الركاب، دفعه برفق:

ياأخي انتظر حتى تركب السيدة براحتها.

برقت عينا الشاب ولم يفهم شيئا، ولكنه تراجع قليلا وانتظره حتى ركب وصعد خلفه.

المقعدين: الخامس والسادس ، هاهما، أجلسها إلى جوار النافذة حتى تشاهد الطريق، انتظر حتى استقرت في مقعدها، لم تغادر عيناها النظر إلى وجهه، مدت يدها وبرفق أجلسته في مقعده إلى جوارها، أخذت في تعديل هندامه، أعادت تلك الشعيرات البيضاء التي تبعثرت على جبينه إلى مكانها على رأسه، خلعت نظارته ومسحت زجاجتها برفق ثم برفق أكثر أعادتها إلى عينيه، هو مستسلم كالطفل بين يدي أمه، مستمتع كأهل الجنة.

مر أكثر من ساعتين حتى بلغ القطار محطة سيدي جابر، لم يشعرا ببعد المسافة ولاطول الوقت، إنه الحب كما أراده الله أن يكون بين البشر سببا لكل شئ جميل على الأرض.

تاكسي .. فندق الرمال الذهبية من فضلك.

فتح لها الباب الخلفي وحملها بعينيه، أجلسها ودس نفسه ملتصقا بها، السائق انتشى وأصابته عدوى السعادة، وضع شريطا ورفع صوت المسجل، صدحت الألحان والكلمات، صوت أم كلثوم غلالة غلفت العاشقين: "الحب كله حبيته فيك .. الحب كله"

في بهو الفندق الذي يتردد عليه دائما، خطا نحو موظف الاستقبال، لم ينتظره الموظف حين رآه، بل هرع إليه فالتقاه في منتصف المسافة، رحب به، حمل عنه حقيبته وتقدمه إلى غرفته التي حجزها منذ يومين، نفس الغرفة التي يقيمان فيها كلما كانوا في الأسكندرية، كل العاملين بالفندق يعرفونه جيدا، يعرفون زوجته التي يقول لهم عنها دائما أنها سر حياته.

انصرف موظف الفندق، حملها لتدخل أمامه، برقة بالغة أجلسها على مقعد وثير، رآها في المرآة الكبيرة التي تكاد تبلغ السقف ارتفاعا، ترنو إليه وترقبه بحنان، أم فرحة بطفلها وقد بدأ يخطو في أنحاء الغرفة، لم ير لنفسه صورة في المرآه، جلس إلى جوارها، احتضنها فذابت في صدره، اقتربت شفتاها من أذنه، همست:

ياروحي.

أضيئت أنوار الدنيا، طغى جمالها، غردت كل الطيور، حتى البوم والغربان، لهث لسانه شكرا لله، دق هاتفه، تناوله، كشف غطاءه، صورتها تملأ الشاشة، سمعها تهمس في حنان:

أعشقك .. ليتنى كنت معك.

لثم صورتها على الشاشة، ابتسم وهو يتمتم: مجرمة.

اتصل بخدمة الغرف ... طلب طعاما لشخصين.

*****

لقاء بأثر رجعي

سها يحيى محمد

كان يركض في طريقه بابتسامة عريضة، تتسابق خطواته لتسبق الوقت، كم يشتاق إلى ملامحها البريئة، أخذ يفكر في تفاصيلها التي تأسره، ابتسامتها وحركاتها المعتادة.

انتبه من شروده على شيء يؤلمه، ما هذا الذي يخترق جسدي؟.. قالها وهو يئن وجعًا

التفت خلفه ليرى جمع من الأطفال يركضون خلفه، وهم يضحكون وتردد شفاههم كلمات تافهة، يقذفونه بحجارة صغيرة كصغر عقولهم.

صاح بهم غاضبًا، وركض بعيدًا عنهم، كان جسده يؤلمه بشدة، إلا أنه تجاوز تلك الآلام بتذكر ابتسامتها، فعاد للسير مجددًا، وهو يرسم في مخيلته صورة اللقاء.

عادت الابتسامة إلى وجهه العابس، واستكمل طريقه إليها، إلا أنه أفاق تلك المرة على صفعة من شاب على دراجة، فاجأه بعنفها وركض بعيدًا.

لم يستعب عقله ما حدث، اختبىء بجانب أحد الأسوار وكأنه يحتمي به، فقد ضاق بتلك الأفعال البلهاء.

سب سذاجته ولعن حماقتهم، ثم نظر حوله كثيرًا قبل أن يعاود السير مجددًا، راح يلتفت يمينًا ويسارًا، يخشى فعل آخر غير متوقع، حتى وصل إلى ذلك المطعم الذي يطل على النيل.

هبط عدة درجات حتى رآها أمامه، بفستانها الأزرق وعيونها اللامعة، تجلس على إحدى الطاولات في انتظاره.

اقترب منها ثم جلس أمامها قائلًا: المعذرة تأخرت عليكِ.. لكن الناس تغيروا كثيرًا، أصابهم الجنون، طوال الطريق وأنا لا أفهم تحركاتهم الحمقاء، لا أعرف لماذا يعطلون خطواتي بأفعالهم الدنيئة

ابتسمت قائلة: لا عليك

همس إليها قائلًا: اشتقت إليكِ كثيرًا

اعتلت الحمرة وجنتيها وهي تقول: وأنا أيضا

- مر عامان على خطبتنا، لا أصدق حتى تلك اللحظة أننا سنكون سويًا بعد خمسة أيام، سيتحقق حلمي الذي طالما ركضت خلفه، سيمسك والدك بيدكِ ثم يعطيني إياها أمام الجميع، سأرى الأبيض وهو يتدلل بإطلالتلك، سأعانقك ونرقص سويًا على أنغام لحننا المفضل، ستنتشي أرواحنا الهادئة بالصخب لأول مرة، وننثر السعادة على كل القلوب الكافرة بالحب لتؤمن بلذته وتراه دائمًا في صورتنا

ابتسمت ثم شردت قليلًا وقالت: أتتذكر أول يوم التقينا؟

ضحك قائلًا: بالطبع.. كنتِ كالتائهة تبحثين عن تلك الشركة التي أرسلت إليكِ خطابًا بالموافقة على عملك بها، وقفت أتابعك وقلبي يخفق بشدة دون أن أجد مبررًا لذلك، نسيت الزبائن ولم أنتبه لأسئلتهم المُعتادة عن الكتب التي يفضلونها، تمنيت أن يُلقي القدر بكِ إليَّ، أن تُعمى عيناكِ عن الجميع حتى لا يكون أمام سؤالك اختيار سواي.

رأيت خطواتك المترددة تقترب مني، لم أصدق أن أمنيتي في طريقها للتحقق، حتى اخترق صوتك أذني ليخبرني أن في بعض الأحيان يكون الواقع أجمل من الخيال، كنتِ تسألين عن عنوان مدون على ورقة معكِ.

التقطت الورقة من يدك لأخبرك بالمكان، حاولت الإطالة في وصف الطريق حتى أظل أطول وقت معكِ، على الرغم من أن المكان كان مُقابلًا للمكتبة التي أعمل بها، ركض الوقت سريعًا ليُعلن نهاية لقائي بكِ بابتسامة رقيقة منكِ.

تابعتك عيني حتى اختفيتي عنها داخل تلك البناية التي أرشدّك إليها، عدت لأعمل بقلب وعقل غائبين، كنت أختلس النظر بين الحين والآخر إلى تلك البناية، أنتظر لحظة خروجك، حتى رأيتك تغادرينها بوجهك الملائكي، خفق قلبي بشدة حتى أنني كدت أن أسمع نبضاته، ظلت عيني تتابعك حتى اختفى طيفك عنها.

لم أفهم سر المشاعر المتناقضة التي داهمتني منذ رؤيتك، تلك السعادة التي داعبت قلبي ما أن وقعت عيناي عليكِ، وذلك الحزن الذي فاجأني ما أن غاب طيفك عني، وكأني فقدت جزءًا من روحي، أنهيت عملي بالمكتبة وعقلي مازال عالقًا بكِ.

وفي اليوم التالي رأيتك أمامي مجددًا، علمت إنكِ أتيتِ لتلك الشركة من أجل العمل، فاطمأن قلبي بقربكِ، تعلق قلبي بكِ يومًا بعد يوم، كنت أراقبك في صمت، أتابع حركاتك العفوية، وألمس طيبة وحب بداخلك لم أعهدهما في أحد من قبل.

تمنيت أن تجمعني أي صدفة بكِ، حتى جاء ذلك اليوم الذي رأيتك أمامي، تسألين عن كتاب ليوسف السباعي، أردت ألا أضيع تلك الفرصة من يدي، سألتك إن كان السباعي كاتبك المفضل، فأجبتي بنعم، قلتِ إنكِ انتهيتِ لتوك من كتاب هذا هو الحب، وإنكِ ترينه فنانًا ماهرًا يعزف ألحان الحب ببراعة، يلعب بأوتار كلماته فيحرك كل ساكنًا، يُحلق بالحب الأفلاطوني في سماء صافية لا تعرفها سحب الغدر.

جذبتني كلماتك الرقيقة، أحضرت لكِ الكتاب، وبدأت علاقتنا منذ تلك اللحظة، أصبحتِ تأتين إليَّ يوميًا للحصول على كتاب جديد، لنتبادل الأحاديث حوله، ونتطرق إلى لذة الحب في تلك الكتب، حتى سقطت قلوبنا في غياهب العشق، وعرفت أعيننا معنى السهاد.

وبعد شهر على لقائنا الأول، أخبرتك بحبي ورغبتي في العيش معكِ طوال العمر، قفزت السعادة على تفاصيل وجهكِ، وافقتي على الفور، إلا أن والدكِ كان له رأي أخر، رفض وضوحي واتخذ فقري عيبًا يلومني عليه، فرض علينا البُعد ولم يأبه بانكسار قلوبنا، لم يفهم القهر الذي وضع شتلاته داخل أعماقنا، لكنكِ لم تخضعي لتسلطه ولم تقبلي الهزيمة، تصديتي لثورته بهدوء حتى انتصرتي عليه بذكائكِ وأصبحنا سويًا.

انتبه من شروده على صوت صياح، نظر خلفه ليجد رجلًا أربعيني يشير إليه وهو يقول بنظرة متعجرفة: كيف دخل هذا الرجل إلى هنا؟

اقترب أحد العاملين بالمطعم ليقف أمام ذلك الرجل قائلًا: أرجوك يا سيدي لا تكن قاسيًا كالزمن، لا تنخدع بالملامح المبعثرة والملابس الرثة، إن تلك الهيئة الزائفة تحمل بداخلها إنسانًا مهندم الطباع، قيدته الذكريات بواقع مؤلم، لم يقو قلبه الصادق على تحمل عنفه، فمزقه الشقاء دون رحمة، حينما سلب منه حبيبته أمام ذلك المكان.

كان على موعد معها، يجلس على نفس المائدة ينتظر لحظة مجيئها بملامح تخلو من تجاعيد الحزن التي ترتسم على وجهه الآن، ووسط لهفة الانتظار استمع إلى صوت صراخ، ركض مسرعًا إلى الخارج ليرى حبيبته مُلقاة، تسيل منها الدماء، أخذ سائق مستهتر روحها وهرب مسرعًا، ومنذ تلك اللحظة وهو يأتي كل يوم إلى هنا، يجلس على نفس الطاولة، ليُحدث خيال لا يراه أحد سواه.

*****

خاطرة امرأة مبعثرة

اية مسلم

نعم بالفعل أنا كذلك.. شظايا متناثرة.. قطع امرأة مبعثرة.. أنثى فقدت بريقها.. تجربة زمن عابرة..

قطعت شراييني يوم حاولت التمسك بي.. وتسربت نفسي من بين يدي..

إغتصبني الخوف بلا حول مني ولا قوة.. سرقت أحلامي مني عنوة وبت حاملة الحزن في رحم مشاعري ليحبل مع الأيام بأحزان أخرى ويجهض ما تبقى من آمالي وأمنياتي.. أنهكني ماض مضى وحاضر أبى أن لا يمضي قبل أن يطرقني وجعا ويتمايل فوق جثامين خسائري..

أردت الحياة رغم يقيني بأنها توقفت عني.. أردت بعضا من القوة لتحمل الأشياء.. أردت القليل فحسب وحين مددت يدي أضرمو النيران في جسدي ليتدفأو بها وحين توسلت أذابو الجليد على جثتي..

تلك الأيادي التي إمتدت عنوة خلعت ما تبقى من ثياب عفافي.. طهارتي.. كبريائي.. وأنا الآن متعبة أحاول أن ألتف وأحضن جسدي وأنتظر الأمان أن يحملني برفق إلى فضاء بعيد رغم يقيني بأنني الغريقة التي لن يكترث لها أحد(١٤اعجاب)

*****

لا تحبيني

حسام الخطيب

كانت تستعد لركوب القطار ، حينما رأته علي الرصيف الأخر من المحطة، كذبت عينها في أن يكون هو، لكن هذه الملامح التي حفرت في ذاكرتها يصعب أن تجتمع في إثنان، كان يقف هناك متوكأ علي ساعد صديقه وهو يمازحه ، إتخذت مكانها خلف نافذة القطار وهي تراقبه في تمعن

لم يتغير كثيرا، زاد وزنه قليلا ، هل يكون قد تزوج ؟! لما يزعجها الخاطر وقد أفترقا منذ سنوات، وأصبحت هي لرجل أخر الأن

أرتدت بها ذكرياتها للخلف بضعة سنوات، كانت تركب نفس القطار وجلس هو بالصدفة إلى جانبها وهو يعاونها في وضع حقائبها الثقيلة في المكان المخصص لذلك قبل أن يجلس قبالتها وينظر من النافذة في فضول

لم تحبه من أول نظرة فهو عادي حتي النخاغ، ليس به ما يميزه وإن كان به فلا الوقت ولا المكان يسمح بإكتشافه، أخرجت كتابا من حقيبتها لتقرأه ، كان كتابا عن التنمية البشرية، لفت الكتاب إنتباهه فألتفت نحوها وهو يقول :

- هل تؤمنين بهذه الكتب حقًا ؟

نظرت للكتاب وهي تقل له :

- الكتب عموما أم نوعية الكتاب الذي أقرأه ؟

- كتب التنمية البشرية وتطوير الذات

- طبعا اؤمن بها وهي غيرت في ذاتي كثيرًا

صمت للحظة وبدا أنه أقتنع بأجابتها قبل أن يبتدرها قائلا

- هل لو جاء كتاب وقال لك أن كلمة نعم سحرية وتفتح لك كل الأبواب هل ستتبعيه؟

- لو اقتنعت به سأتبعه

- إذن أنت توافقين أن بعض الكتب لا تقنع، اذن هي تحتمل الخطأ

- كل الكتب قد تحتمل الخطأ فهي ليست كتب مقدسة في النهاية، أنا أخذ ما أقتنع به

- وما بوصلتك للصواب والخطأ في ذلك ؟

- يجب أن يوافق الكتاب مبادئي وتقاليدي

- الكتب لا يجب ان توافق المباديء الكتب تشكل المباديء

- لم أفهمك

- سأعود لسؤالي لو وجدت كتابين تنمية بشرية أحدهما عن مزايا كلمة لا والأخري عن مزايا كلمة نعم، أيهما تختارين ؟

- الذي يقنعني أكثر وأجد نفسي فيه

- إذن أنت تبحثين عن كتب تكذب عليك وتجرك إلى ما تحبيه فعليا بالداخل، مثل الذي يبحث عن دواء طعمه حلو حتي لو كان تأثيره ضعيف

صمتت وقد شعرت بالاحراج وهي أغلق الكتاب وتحس بالرغبة في عدم تكملته، نظر لها مرة أخري مبتسما وهو يقول

- أترين ؟ إنسان واحد في خمس دقائق غير وجه نظرك بكتب التنمية البشرية كلها

- يبدو أنك تقرأ كثيرا.

- لم أقرأ كتابًا واحدًا من تلقاء نفسي ، فقط أحب الجدال وأخرج من الحوارات بألف معلومة لن أجدها بالكتب.

صمتت مرة أخري وهي تتمعنه، لا تعلم لما بدا لها مميزًا الأن ولم تكن تشعر بذلك سابقا قالت له :

- ما تعليمك ؟

- أعدادية

- يبدو حديثك أعلى من ذلك

- اذا كان حديث استاذ الجامعة قد ينحدر لمستوي الجهلاء فمن الطبيعي أن تجدي نصف متعلم اسلوبه مثل اسلوب استاذ الجامعة، في بلادنا ليس هناك أحد في مكانه الصحيح

مر بهم بائع حلوي فأشتري منه بضع قطع أخذ واحدة بين أسنانه وناولها واحدة، أعتذرت بأدب فأعطاها لمن هو بجواره وهو يقول :

- هل تسافرين في عمل أم دراسة ؟

- دراسة، أنا بالصف النهائي بكلية التجارة

- لا أحسب أن المرأة تحب التجارة ، بالتأكيد لم تكن إختيارك

- فعلا كنت اود دراسة الإعلام ولكن المجموع الذي حصلت عليه لم يؤهلني ، وانت لما لم تكمل دراستك ؟

- أنا معي دكتوراة في الحياة وهذه تكفيني

- ألا تري انك مغرور قليلًا ؟

- حسنا أساليني أي سؤال عن الحياة

أحتارت كيف تسأله فقالت له

- حسنا ما هو النجاح؟

- النجاح ان تكوني أفضل من الأخرين في عرف الناس وأن تكوني أفضل من نفسك في عرف السماء

بدت إجابته مراوغة ولكنها جيدة ومميزة فقالت له

- حسنا وما الفشل ؟

- الفشل ان تعتقد أنك لن تنجح

- وما الحب ؟

- لا يوجد شيء أسمه حب ولذا لا يوجد تعريف له

- كيف هذا ، يوجد حب بالطبع

- هل أحببتي من قبل ؟

أحمرت وجنتاها وقد بهتت بالسؤال قبل أن ترد عليه

- لا

- هل شهدت قصة حب بكافة تفاصيلها أمامك ؟

- لا

- اذن كيف تعرفين عنه ؟

- من القصص والروايات والأفلام

- أجبت علي نفسك، لا يوجد حب إلا في القصص والأفلام

- ماذا عن قصص الحب الحقيقية ؟ هناك ملك تنازل عن عرشه لأجل الحب، هناك عاشق مات بسبب الحب

- هذا الجزء الذي تعرفيه من القصة ، الذي وصلنا،أما ما في الكواليس فلا يعلمه أحد، هل تشاجر عنتر وعبلة بعد الزواج ؟ لن نعلم،هل لو كان قيس تزوج ليلي كان ليكفر بحبه ؟ لن نعلم، ما يأتينا هو الظاهر وليس الباطن.

صمتت وهي تقرر ألا تسأله فهو حاضر البديهة ويجيب بسرعة ويربك ثوابتها بأفكاره، أخرجت هاتفها وهي تتفحص رسالة قادمة قبل أن تبتسم فقال لها :

- خبر سعيد؟!

- نعم، كنت أنتظره منذ زمن

- ولما تنتظرين أحد اخر ان يصنع لك سعادتك ، لما لا تصنعي اخبار سعادتك بنفسك

- لا أستطيع ذلك، أنت تعلم اننا لا نتحكم بالظروف

- هذه حجة العاجزين

ردتت بتأفف مصطنع :

- حسنا أنا عاجزة، هل يعجبك هذا؟

- لا يهم أن يعجبني ام لا ، المهم ان يعجبك أنت

صمتت وهي تهم بأن تترك مكانها فقد شعرت بضعفها البشري وأن عقلها الصغير يجاهد أمام عقله قبل أن يباغتها قائلا :

- هل تعطيني رقم هاتفك ؟

- لماذا، أقصد ...

- لا عليك ، اعرف ماذا تقصدين ولكن لو أن الاشياء التي تسعدك تأتي علي فترات متباعدة فسوف أسعدك كل يوم برسالة فيها شيء يفرح قلبك

نظرت له مليا وهي تتسأل في نفسها، هل هذه طريقة جديدة للتقرب للفتيات، أيا كانت طريقته فقد أعجبتها، أملت عليه رقم هاتفها فسجله علي جواله وتلقت منه رسالة في حينها ، فتحت الرسالة لتجد عبارة واحدة

- لا تحبيني

نظرت له مندهشة ، لم تحبه بعد ولم تظن انها ستحبه فلماذا ارسل لها هذه الرسالة وهو أمامها، احمرت وجنتاها خجلا وهي تنظر للنافذة،ماذا تفعل الأن ؟ هل تصمت طوال الطريق أم ماذا

طال صمتهما لعشر دقائق ، قبل ان تكتب رسالة علي الهاتف لترد عليه قائلة :

- لن أحبك ولكن لما قلت هذا ؟

عاد يجيبها برسالة قائلا

- لأني أظهر لك ما اود أن اظهره اما بيني وبين نفسي فأنا أقل وأدني مما أبدو عليه

همت بكتابة رسالة أخري غير أن القطار توقف عند محطة ما، نظر هو من النافذة وهو يبتسم قبل أن يقل لها

- لقد وصلت محطتي ، لتكملي لوحدك، تصحبك السلامة

هبط من القطار دون أن ينتظرمنها كلمة وداع، نظرت له من النافذة وهي تحس أنها كالجنين الذي يفارق رحم أمه، قبل ان تتباعد رؤياهما ويغيب عن البصر

أستيقظت من ذكرياتها علي صوت صافرة القطار وهي تشعر بتحركه، نظرت له نظرة أخيرة مودعة ، لدهشتها كان ينظر اليها من علي الرصيف وكأنما يتأكد هل هي نفسها أم إمراة أخرى ولكن القطار تحرك قبل أن يتأكد من ذلك

*****

نمطية لامرأة نمطية

هدى عبد المحسن عبد الهادي

في غرفة كابية اللون شاحبة الإضاءة، بالكاد ينفلت إليها بعض أشعة الشمس من بعض الكوات العلوية، جلست مسندة رأسها إلى إحدى يديها، بينما أخذت تنقر بأصابع يديها الأخرى زجاج مكتبها نقرات رتيبة. يزكم أنفها خليط من روائح القذر المتراكم والتراب والطعام والشاي والدخان والعرق والعطور النفاذة الرخيصة. ولا يفتأ الصخب واللغط يدور من حول رأسها كغربان ناعقة؛ فزملاؤها وزميلاتها لا يكفون عن ثرثرتهم الصباحية بأفواه ملؤها الفول والقثاء والبصل. قبل بضعة أيام مضت، كانت تشاركهم صخبهم ولقمهم وتلكؤهم. قبل بضعة أيام، لم تكن تأنف من المكان على قبحه، ولم تكن تستشعر بسخافة الأشخاص على غرابتهم. أما الآن، فثمة صوت خافت يجاهد ليجد سبيله بين غابات الصمت في رأسها، ولا يفتأ الصوت يئز داخلها وتعلو نغمته وتدوِّم: أنت لا تنتمين إلى هاهنا!

لسبب غير معلوم وجدت نفسها – حديثًا- تنأى عنهم، بل أخذ يملأ نفسها – منهم – نفور يزداد يومًا بعد يوم، حتى قارب أن يتحول إلى اشمئزاز مكتوم. كانت تفكر وتتساءل عما دهاها من انحسار نفس وضيق صدر، لعلها عصافير الحزن التي طفقت تحلق فوق رأسها منذ الأحد الماضي، لكنها ليست المرة الأولى التي تستقبل فيها طيور الحزن؛ فكثيرًا ما تتكرر زياراتها في طقوس تكاد تكون معتادة، ومع ذلك ثمة شيء فريد هذه المرة لا تستطيع أن تحدد كنهه على وجه الدقة. تجهد عقلها في إيجاد السبب أو التفسير. تدرك – بعد لأي- أن البداية كانت عندما فتحت مرآتها المحمولة في فعل نمطي اعتادت القيام به قبيل مغادرتها الغرفة

لتوقع في دفتر الانصراف. لكنها ذلك الأحد، حين فتحت مرآتها، تلبثت وقتًا لسبب غير معلوم، لم تضبط طرحتها، لم تسوِّ خصلات شعرها المطلة من تحت طرحتها، لم تُعِدْ نشر أي من المساحيق على وجهها، إنما اجتذبتها المرآة إلى التحديق في وجهها حتى غاصت بها رويدًا إلى روحها، ووجدت نفسها تسائل ذاتها: صاحبتي .. من أنتِ؟

بعدها، انقادت - كما الآخرين – تتقافز من مكان إلى مكان، في دورة حياة لا تنتهي إلا لتبدأ: من المؤسسة إلى مدرسة الأطفال، ومن المدرسة إلى السوق، ومن السوق إلى المنزل، ومن المنزل إلى المؤسسة.. تتناوب - كما المنومة - المهمات اليومية، تدخل المطبخ ذاته، تطهو الطعام، تضعه على المائدة ذاتها، تتوسط الزوج والأطفال، تأكل في آلية، ترفع المائدة، تساعد أطفالها في المواد ذاتها، ترتمي إلى المقعد ذاته بجوار زوجها، يحتسيان الشاي ذاته، يتكلمان الأحاديث الممجوجة ذاتها، عن المصاريف والدخل وأحوال البلاد والسياسة والطقس، يتناولون جميعًا العشاء ذاته، يتبادلان كلام الحب ذاته، تشعر الشعور ذاته بالقدر ذاته، تضطجع ذات اليمين ويضطجع ذات اليسار، وينتهي اليوم وكأنه ذات الأمس!

في اليوم التالي، أخرجت مرآتها من حقيبتها، فتحتها في تردد وتخوف، تأملت الوجه الشاخص أمامها، تأكدت من التغير الذي علا الملامح: التقطيب الذي شقَّ طرقه في جبهتها، الجفون المتدلية بالأهداب المكسورة وكأنما تراخت عضلاتها لتحجب الرؤية عن عمد، العينين اللتين صارتا من الجوامد بعد أن انطفأ سراج الحياة فيهما منذ زمن بعيد، الفم الذي انبعج إثر اصطناع الضحك على كل ما هو سخيف تافه. أجالت نظرها في جسدها؛ فوجدت أن بطنها قد تكورت، وذراعيها قد تهدلتا، وساقيها لا تكفان عن الاهتزاز في حركة عصبية لا تنقطع. عبر السنوات المنصرمة، حملت كثيرًا من اللحم، حتى صارت أشبه ما يكون بمكعبات غير متناسقة قد تراص بعضها فوق بعضها. تأملت هندامها، فوجدته كالذي كانت ترتديه أمها: سترة فضفاضة زاهية الألوان، وتنورة واسعة. كان أكثر ما تنقمه على أمها حياتها

الداجنة النمطية، وها هي الآن عالقة فيها. هل هي نموذج معاد من أمها؟ أم لعل أمها تحيا حياة أخرى عبرها؟

عشر سنوات استغرقتها لتكون كلَّ ما لم تكنه، بل لتكون كلَّ ما لم يخطر على بالها أن تكونه. أخذت تعصر مخها، تعبث في تلافيف ذاكرتها، تقلب صفحاتها، تجاهد لتتذكر كيف كانت قبل هذه السنوات العشر. تُسائِل مرآتها: صاحبتي.. كيف كنتِ؟

تظهر "أسماء" في صفحات ذاكرتها فتاة متقدة العزم والخاطر، ماضية الرأي، خفيفة الروح، لها عينا السائح الذي يشاهد الأشياء بمتعة وإعجاب وبكارة، لا تستطيع الألفة والاعتياد إفقادها الاحساس بجمال الأشياء، ولا حتى القبح.. لا يكاد شيء يردعها عن أمر إذا تجردت له. تركت قريتها في أقصى الجنوب، وأصرت أن تذهب إلى القاهرة لتتعلم وتتعرف المدينة الكبيرة، فلم يُجدِ معها نصح أو تهديد. تحدت أهلها ومارست العمل السياسي واعْتُقِلْت سنتين، ثم أُطْلِقَ سراحها، فخرجت كأن لم يمسسها سوء. ظلت تدرس وتعمل.. تمارس الحقوق وتختبر المتع البريئة، تَقِرُّ وترتحل، تسافر في عقلها أكثر مما تسافر بجسدها.. تجرب كل يوم جديدًا- حقيرًا كان أو عظيمًا، لا يهم -، وتبحث بصبر عن المودة التي لم تصح لها من أحدهم وتنتظر.. لكنَّها في لحظة ما فقدت تناغمها الداخلي؛ اختلت خطوات نفسها الوثابة على حبل الحياة؛ فتعثرت ثم تمكن مِعْوَلٌ ما من تهشيمها.

كانت "أسماء" في الثلاثين عندما أخذ يثقل قلبَها رفضُ المجتمع حياتَها غير النمطية. كانت تظن أنها لا تعبأ كيف يراها الآخرون أو ماذا يظنون فيها، لكنها بمرور الوقت زاد عطشها إلى قدر من القبول الاجتماعي. ثم شاء القدر أن يجمعها وأستاذتها المشرفة على رسالتها في ورشة علمية، لطالما نظرت إلى أستاذتها العجوز نظرة الشغف والانبهار، وكان جل طموحها أن تصير مثلها يومًا ما، عالمة ومُعلمة، ونقطة ارتكاز لكثيرين غيرها. انتهت الورشة وانتظرت ريثما تنتهي أستاذتها من إجابة أسئلة بعض الحاضرين الملتفين حولها. أطالت إليها النظر، وهي

تفكر وتحلم، ولم يقطع عليها أحلام يقظتها إلا مجيء العاملة. أخذت تتبادل والعاملة بعض الأحاديث العابرة، وإذا بالعاملة – ودون مقدمات – تقول لها:

تخيلي أن هذه الدكتورة بنت بنوت؟

نظرت إليها نظرة ذهول وتساؤل.لم تصدق أن أمرًا شخصيًّا كهذا يصبح مضغة حتى في أفواه العاملين. عَقَّبَت العاملة موضحة:

أعني لم تتزوج قط.

هل كان حديث العاملة القشة التي هشمتها؟ لا تدري، لكنها تعي الآن أنها منذ ذلك اليوم في تلك القاعة قد أخذت تتقولب في حياة نمطية يرضاها الناس. سرعان ما أهالت "أسماء" التراب على أحلام الشباب: توقفت عن العمل في بحثها العلمي، ثم قبلت الزواج بإنسان نمطي - على طيبته - بعد أن وصفوه لها بالمناسب، أنجبت ولدًا .. واثنين، ودارت مع الآخرين في دواماتهم النمطية.

كانت لا تزال تنقر زجاج المكتب بأصابعها حين أعلنت الساعة الثانية ظهرًا. لملمت أشتاتها، تمهلت قليلًا، تبعت الزملاء والزميلات، سحبت رجليها نحو سجل الانصراف، ثم سرعان ما ذابت معهم في حياة نمطية كبرى.

*****

حقيقة اتلفها الزمن

فاطمة ميري

في مكان بعيد جدا في اطراف مملكة طيبة القديمة حيث الرمال والسكون في كل ارجاء هذه القرية التي اصابها قلة في الغذاء والماء وحتى في البشر !!

كان سمحى يجهز أمتعته للرحيل من هذه القرية فلا يوجد فيها شيء ثمين لسرقة قرر الذهاب الى مركز مدينة طيبة الى العاصمة.

غادر سمحى القرية في ليلة مظلمة طويلة ورياح شديدة لم تشهدها القرية منذ سنين اصبحت حبات الرمال تتطاير مع الهواء تدفعه نحو الرحيل نحو المصير المجهول، هل نحن نصنع القدر ام القدر هو من يصنعنا. ومرت الايام كان سمحى محمل بأحاسيس التعب والاجهاد وكان العرق ينهمر على جسده كالماء الذي يسقط على اوراق زهرة اللوتس المترية لقد انهكه المشي واصبحت ملامحه الأربعينية تبدو كرجل في الخمسين من العمر !!

وصل سمحى الى مدينة طيبة كان كل ما فيها يسر الناظرين حيث روعة التصميم والأبنية ذات العماد فقد سحرته المدينة، الكل يعمل في حمل الاحجار اما النساء يعملن في حصاد القمح .

دخل سمحى الى اسواق المدينة وسمع اهالي المدينة يتحدثون عن الاحتفالات التي سوف تقام غدا بالذكرى العشرين لرحيل الملك زوسرالاول فهناك اعتقاد قديم لدى الفراعنة باحتمالية رجوع الروح الى الجسد كل عشرين عاما.

وفي هذه المناسبة يتم وضع اشهى الطعام والحلي والذهب في مدفن الملك تحت سفح الهرم الاكبر كانت كلماتهم تصب في اذان سمحى كوسوسة الشياطين المرتقبة سقوط ضحيتها وإخضاعها تحت امرها دون حركة كالفريسة التي تيأس من مقاومة صائدها. قرر سمحى سرقة مدفن الملك.

وصل سمحى امام الهرم الاكبر يبحث عن طريقة للدخول الى المدفن وينظر في كل اتجاه مترقبا رحيل الحراس حتى سمحت له الفرصة وبدء بالحفر، مرت الساعات كل الايام وبدأ عليه التعب و قارب الليل على الزوال واليأس تملكه واخيرا ظهرت له بوابة صغيرة قام بفتحها وجد مدرج طويل اخذ شعلة معه دخل وهو منبهر بروعة البناء والرسومات وبدأ ينظر الى رسم غريب على الجدار على شكل قط حاد الملاح اسود اللون تحول الرسم الى حقيقة واصبح يهاجمه حاول الهروب منه فقد كان يمنعه من الدخول الى حجرة الملك سقط سمحى على الارض ونبضات قلبه تتسارع يحاول التخلص منه أصبح القط امامه يحاول الانقضاض عليه وفجأة سقطت بعض الأحجار على القط ،فتح عينه وجد القط ميتا تحت الحجارة فرح سمحى و راح ينفض التراب من على جسده ومسك الشعلة بيده بات ينظر في كل أتجاه حتى وجد ممر ضيق دخل فيه حتى وصل الى باب دفن الملك وعلامات البهجة بانت على وجهه فقد وصل الى ما كان يبحث عنه انها باب مرصعة بالذهب والحلي ومرسوم عليها افعى ضخمة وبعض الكلمات اقترب من الباب وراح يقرأ الكلمات المكتوبة على البوابة (لا احد يستطيع دخول هذه البوابة هناك افعى تحرسها) راح ينظرالى ارجاء الحجرة لم يجد افعى !حاول لمس البوابة الا ان فزعا اصابه ! قد تحول رسم الافعى الى حقيقة خرج من نقشه المرسوم على البوابة حاول التخلص منها لم يجد امامه سوى استخدام الشعلة الملتهبة بالنار رمى الشعلة من يده باتجاه البوابة من مما اخاف الافعى وفي هذه الاثناء قفز سمحى نحو الباب وحاول فتحها لكن الافعى اطلقت السم عليه بدأ السم كالماء المتدفق بقوة وهو يتطاير بالهواء

نحوسمى ولكن السم سقط على البوابة بعدما دخل سمى في الحجرة واغلق بابها بوجه الافعى ! نجا للمرة الثانية بأعجوبة ،ها قد دخل حجرة الملك كل شيء فيها يلمع كلمعان الذهب و قوارير ممتلئة بأشهى انواع الطعام والاف النقود والتماثيل المذهبة راح سمى يأكل الطعام والشراب فلم يأكل منذ ايام طوال، رأى تاج الملك وخاتمه المرصع وثياب الملك فقد اغراه المنظر وبدأ ينظر الى ثيابه الرثة المهلهلة قرر خلعها والتخلص منها فقد وجد البديل لها اراد ان يشعر نفسه بأنه ملك وهو يرتديها فقد اصبح كالملك لا يفرق عن الملوك بشيء كان فرحا كفرحة الاطفال بألعابهم لكن هذه الفرحة لم تستمر طويلا قد سمع سمى اصوات اشخاص يحاولون فتح البوابة وراح ينظر اليها فلاحظ كلمات مكتوب على البوابة (من لبس تاج الملك فقد ورث حياة الملك)

بدأت علامات الخوف عليه! فتحت البوابة ودخل الحرس وهم يحملون بعض جرات العسل كانت نظرات سمى نحوهم تحمل كل معاني الخوف، سقطت جرات العسل على الارض وهرع بعض الحراس نحو الخارج تعالت الاصوات بأن الملك زوسر الاول بعث من جديد رجع الى الحياة مرة ثانية اما البعض الاخر من الحرس انحنى للملك، تحولت نظرات سمى من الخوف الى نظرات انتصار فهو الملك وهم العبيد له، اصداء الخبر انتشرت في كل ارجاء مملكة طيبة قد افاق الملك من مرقدة الملك زوسر الاول لقد بعث حيا من جديد .الخبر نزل كالصاعقة على اذان الملكة كيا زوجة الملك زوسر الاول ذات الجمال الساحر وحفيدها المراهق الملك زوسر الثالث الذي يستعد لاستلام العرش وتقف بجانبه زوجته الملكة سي أتى سمى وهو محمول و محاط بجنود يعملون تحت امره ، شعر بالعظمة والقوة قرر ان يؤدي دوره بأتقان كأنه ولد من سلالة الملوك.

دخل سمى قصر طيبة والجنود يحاوطونه من كل اتجاه ويا له من قصر كبير اكبرمن قرية سمى نفسها تحيطه الجواري والتماثيل المذهبة ،كان في انتظاره زوجته الملكة كيا

وحفيدها وزوجته والكهنة تعالت اصوات الطبول والابواق مرحبة بعودة الملك الكل ينظرله اقتربت الزوجة كيا منه تنظرفي عينه تضع يدها المرتجفة على وجه تتحسس ملامحه وكان العرق يصب على وجه سمحى يحاول ان يبعد نظراته عنها اصبح مصيره بين يدها وبدأت تقول له هل تتذكرني يا زوجي العزيز؟ انا زوجتك كيا فقد تغيرت ملامحي مثلما تغيرت ملامحك فقد كبرنا عشرون عاما". كانت ملامح سمحى فيها بعض الشبه من الملك زوسر الاول راح يفكر ماذا يقول لها تعلل بأن ذاكرته مشوشة كانت الوسيلة الوحيدة للهروب من اشخاص لا يعرفهم ولم يرهم في حياته .

رأى سمحى مالم يرى في حياته قط الكل في طاعته وخدمته وتقام الحفلات على شرف رجوعه الى الحياة من جديد، وفي احدى هذه الحفلات كان الكاهن الكبير رع يحدق بالملك بكراهية شديدة فانه يكرهه لان الملك كان السبب في نفيه الى مكان بعيد ، قرر الكاهن الانتقام من الملك وقال امام الملا كيف عرفتم انه الملك؟ هل رأيتم جثة الملك موجودة في القبر ام لا ؟؟

بدأ الصمت الرهيب وهم يتبادلون النظرات بينهم! الكل بدأ يفكر في كلام الكاهن العجوز قرر سمحى النهوض من كرسي الملك وطلب من الحراس بأن يرموه في السجن زاد اصرار الكاهن رع وطلب من الحضور بان يذهبوا حالا الى مدفن الملك والتأكد من عدم وجود الجثة في المدفن وان اصر الملك على الرفض فان هذا خير دليل على صحة كلامي .

اضطر سمحى ان يوافق وعلامات الانكسار على وجهه فقد انكشف امره. ذهب الكل الى المدفن ودخل الحرس الى الحجرة وبدؤا يرفعون تابوت النعش واثناء فتحه اصابهم الفزع ! علامات الانهيار باتت واضحة على سمحى ففرح الكاهن و راح ينظر الى النعش فلم يجد سوى افعى ! انقضت عليه واردته قتيلا بدأت ضحكات سمحى تتعالى وراح يردد كلمات انا الملك ومن يشك بي فسوف تصيبه لعنتي انا زوسر وبدأ يتمتم حول الحياة التي عاشها وهو في

العالم الاخر لكن في الحقيقة كان يتحدث عن حياته الحقيقية عن معاناته كيف كان الجوع يحاوط قريته البائسة كيف كان يعاني من طفولة مشردة وقاسية حتى فقد الوعي وسقط ! وفي اليوم التالي كان سمحى نائم على السرير تراوده كوابيس عن دخوله الى حجرة الملك واستيقاظ الملك زوسر من القبر ويقول له (من لبس تاج الملك فقد ورث حياة الملك) وبات يكررها .استيقظ سمحى وهو مفزوع من الفراش فوجد امامه كيا تحاول تهدئته لا تقلق يا زوجي فقد كانت اعصابك متعبة فقد اغمى عليك، بدأ سمحى يجمع قواه يريد ان يعرف كيف مات الملك زوسر حاولت كيا التهرب من الاجابة لكن دون جدوى حتى قالت : الطاعون هو السبب نزل الخبر على سمحى كالصاعقة على أسماعه فقد عرف نهايته واللعنة التي حلت به بعد دخوله حجرة الملك !

اصبح سمحى ملك يساعد الفقراء و يعطف على ابناء جلدته والكل يحبه واطلق عليه لقب ملك الفقراء لكن الكوابيس لم تفارقه. وفي احدى الليالي استيقظ من النوم وبات يمشي في ارجاء القصر فسمع صوت سي زوجة زوسر الثالث وهي تتحدث مع زوجها للتخلص من جده زوسر الاول لكي يصبح هو الملك كانت تحرضه على قتله فقالت له: لا تخف يا عزيزي نطلب من احد الحراس ان يطعن جدك بهذا الخنجر مثلما سمعنا من قبل بموته اول مرة والذي كان موتا غامضا.

صدم سمحى عندما سمع أن الملك مات مطعونا بالخنجر وتذكر كلام زوجته كيا وهي تقول له انه مات بالطاعون. اراده سمحى ان يعرف كيف مات الملك الاول فوجد امامه كبيرة الخدم فسألها فقالت له: لا نعرف كيف مات الملك فقد كثرة الاشاعات عن هذا الموضوع منهم من يقول بالطاعون وأخر بالغرق واخر بالطعن او السم فلا احد يعرف الحقيقة يا سيدي لكن الشك يدور حول عشيقتك السابقة سمارا طلب من الحراس ان يجلبوا له سمارا تم البحث عنها في كل ارجاء طيبة حتى عثر عليها وتم جلبها وكان معها ابنها الشاب مينا

وعلامات الفقر واضحة عليهما عندما دخلت على الملك اعجب سمحى بها فلم يرى بمثل جمالها ، سمارا لم تصدق نفسها عندما رأت عشيقها فقد تغيرت ملامحه ولم تعرف انه شخص اخر وطلبت من ابنها ان ينحي لوالده فأنه ابن الملك زوسرالاول وذكرت له ما حصل لها في غيابه وكيف تم طردهما من القصر وتعذيبهما من قبل الملكة كيا فقد كانت تغار مني وبثت الشائعات بأني من قمت بقتلك وهذا غير صحيح. احس سمحى بصدق كلامها فقد سحرته بجمالها واصبحت عشيقته فقد احبها واحب ابنها مينا كانت الاخبار تصل الى الزوجة كيا عن رجوع عشيقته الى القصر وبات مغرم بها واصبحت هي السيدة الاولى راحت كيا تدس المكائد لها من جديد لكن سمارا كانت اكثر ذكاء منها فقد طلبت من الملك بأن يضع ابنه مينا ولي العهد من بعده وابعاد حفيده زوسر الثالث.

قد رأى سمحى بأن ابن سمارا هو الانسب في الحكم بدل حفيده المغرور المتغطرس الذي يحاول قتله ويفعل كل ما تقوله زوجته سي وراح سمحى يفاتح زوجته كيا في هذه الموضوع واخبرها بالمؤامرة التي تحاك له من حفيده وانه غير نافع لحكم مملكة طيبة غضبت كيا عند سماعها بوجود مؤامرة عليه وأيدت كلامه بأن يكون مينا ولي العهد الجديد لكن بشرط بان يطرد سمارا من القصر فهي لا تطيق ان تراها امامها كل يوم .تردد سمحى وطلب منها ان تعطيه بعض الوقت. بدأت سمارا تلح عليه مجددا بوضع ابنها مينا وليا للعهد قرر سمحى مفاتحة سمارا بطلب زوجته كيا لكنه استغرب من موافقة سمارا بهذه الطلب الذي يبعدهما عن بعض فقد شك بحب سمارا له وبدأت علامات الغضب عليه وطلب منها الرحيل فورا وفي صباح اليوم التالي غادرت سمارا القصر وكانت نظرات الانتصار تشع من اعين كيا وهي تنظرالها كان سمحى ينظر الى سمارا من بعيد كانت نظرات ابن فقد امه فقد احب سمارا. ومرت الايام حتى انتشر مرض الطاعون في المدينة وبدأ الخوف يتسلسل من جديد الى قلب سمحى مما دفعه لتنصيب ولي للعهد دعا رجال الدولة وكبار الكهنة لحضور مراسيم تنصيب الملك القادم فقد كان الكل في انتظاره .كان سمحى في حجرته يرتدي الثياب

الفرعونية والحلي المذهبة التي اعدت خصيصا لهذه المناسبة الملكية ، دخلت كيا الى حجرته حاملة معها عطرا وطلبت منه ان يضع العطر وان تتحدث معه قليلا وضع سمحى العطر على يده وراح يشمه بينما كانت هي تتحدث له عن لقائهما الأول و كيف كانت تحبه بجنون .

الجنون الذي دفعها الى التخلص من سمارا و محاوله قتلها. قالت كيا ان سمارا لم تمت بسببك يا زوسر ففي الليلة التي وضعت فيها العطر المسموم لها وهي لا تعلم شيء عنه دخلت انت الى حجرتها ووضعت العطر على يدك استيقظ الجميع على خبر موتك مات ملك زوسر كان الخبر علي كالصدمة مع ذلك لم احزن عليك لأنك خنتني مع جارية وتركتني من اجلها ومرت الاعوام ورجعت الى الحياة من جديد وكررت فعلتك معي مرة ثانيه فضلتها علي والان تحاول تنصيب ابنها وليا للعهد لن اسمح لك بهذا يا زوسر.

كان سمحى يتأرجح بين الحياة والموت بدأ يتخبط في حركته والسم ينفذ في عروقه ترك الحجرة مسرعا" بدأ يتخبط في كل ارجاء القصر حتى سقط مغشيا عليه. مات سمحى وتحققت لعنة الملك زوسر فقد عاش حياته ومات مثل ميتته اعلن خبر وفاة الملك بمرض الطاعون فهي الطريقه المعتادة لتغطية الجرائم التي تحصل داخل القصر المحصن الملعون . رجع سمحى الى الحجرة التي دخلها اول مرة لكن هذه المرة كجثة محنطة.. ومرت الاعوام والقرون كان علماء الاثار على موعد اعلان خبر مهم تم دعوة مجموعة من الصحفيين والاعلاميين كانت جميع القنوات الفضائية حاضرة لنقل الحدث الاهم مباشرة على الهواء وبعد طول انتظار تم اعلان عن اكتشاف مقبرة الملك زوسر الاول والكشف عن الجثة المحنطة الكل بات يردد الاكتشاف الاعظم في القرن الحادي والعشرين انتشر الخبر في كل اصداء العالم كالنار في الهشيم.. لكن كل الدلائل لا تعني حقيقة مطلقة فقد تكون وراء الحقيقة حقائق اخرى مخفية .انها حقيقة رجل اسمه سمحى انه الملك المجهول .....

*****

في معرض الكتاب

آية أحمد إبراهيم

في كل كتاب حياة تروي لنا الكثير، نعيش بين ثنايا صفحاتها، نعبر معها بحور و نتسلق جبال، تُغذي الروح و تُجدد مشاعر القلب، و اليوم أنا هنا في هذا الصرح العظيم لأتمتع بين تجارب الكُتاب و روعة مشاعرهم، معرض الكتاب ملاذي كل عام من فوضى الدنيا و شغب الحياة، هنا حيث نصنع قصة و نعيش بداخلها...

الحماس كلمة قليلة على ما أشعر به الآن و أنا اطأ هذا المكان، لقد نفذت أموالي للأسف و لكني محتفظة بهذا المبلغ المالي بالتحديد لشراء هذه الرواية المترجمة و التي طال انتظاري لنزولها في هذا المعرض هذه السنة، قطعت المسافة لجناح دار النشر التي ترجمتها بفرحة عارمة، و حينما وصلت وجدتها مصفوفة في مكانها المحدد كعروس بهية الحُسن يوم زفافها، تقدمت ببسمة كبيرة و قلبي ينبض بسعادة، مددت يدي لأخذها و كلي مستعد لتسكن حروفها وجداني و تُرسلني حيث رحلة جديدة و ممتعة، لكن فجأة دون سابق إنذار امتدت يد أخرى بل و سبقتني لها، نظرت بأعين شاخصة لهذا الشاب حسن المظهر لأجده ينظر ليّ بحاجب مرتفع و كأنني قد تعديت على حقه للتو، سحب الرواية بين جناحيه كعصفور يحمي ابنائه من المطر، و بصوتٍ آمرٍ طلب منيّ إفساح مجال له ليتحرك، ركنت صدمتي جوار أقرب حائط و قد تحركت بسرعة البرق لأقف أمامه واضعة يدي في خصري أرمقه بنظرة عدائية من الدرجة الأولى...

_من فضلك يا أستاذ هذه الرواية أنا من رأيتها !!

بكل عجرفة قد تواجدت يومًا في الحياة أجابني ببرود كبرود ملوك القرون الوسطى

_و أنا من أخذتها قبلكِ

أغمضت عيني و قد تفاقم بيّ الغضب، غضب كبير يهدد مكتبتي الداخلية في زاوية عقلي المخصصة للقراءة بأن هذه الرواية لن تكن من مقتنياتي

_و هل هذا من الذوق لتأخذ ما تريده آنسة رقيقة مثلي؟!

عقد ما بين حاجبيه و قد دقق النظر فيّ بطريقة أشعرتني أنني كائن فضائي، ثم قال بلهجة قصفت سلامي الداخلي

_لا تركني لهذا النوع من الاستجداء ، القراءة لا تفرق بين رجل وامرأة كلنا سواء

قضمت على شفتيّ بغضب و قد ازداد الأمر سوءًا حينما جاء المسئول عن دار النشر يُخبرنا أن هذه هي النسخة الأخيرة من الرواية، حاولت التشبث بحقي بها فلو ضاعت منيّ لن أجدها مطلقًا بسهولة، تنحنحت في محاولة لإخراج أرق طبقة في صوتي كي يتأثر بيّ و يتركها ليّ

_أسمعني جيدا يا أستاذ هذه الرواية مهمة جدا لدراستي

قبل أن أكمل حديثي ضحك بسخرية جعلتني حقًا أود في لكمه بقوة في فكه المستفز، تحدث و لا تزال بسمته الساخرة عالقة على فمه

_هذه أول مرة أسمع كذبة غير موفقة كتلك!

احتقنت عيناي بقوة لأرفع إصبعي في وجهه بتهديد أحذره من عواصفي الهوجاء و التي هو بصدد المعاناة منها الآن

_لا تستخف بكلامي من فضلك يا...

لا تزال بسمته الساخرة فوق فمه حينما قاطعني ليعرفني على نفسه

_عبد الرحمن

اومأت له برأسي و عدت أكمل وصلة تحذيري

_لا تستخف بكلامي يا استاذ عبد الرحمن ، لدي مسرحية بالفعل و هي مشروع تخرجي و عليّ دراسة شخصية البطلة في هذه الرواية لأن دوري مقارب لها

تبدلت ملامحه لتزول السخرية و تحتل مكانها الجدية، رمقني بنظرة متفحصة و كأنه يشك في قواي العقلية مثلا، عاد ليرفع حاجبه بدهشة و بعدها تحدث بهدوء

_لو كان الأمر جديًا كما تقولين فعليّ اعطاء الرواية لكِ، لكني أعيش في مدينة ساحلية بعيدة عن هنا بكثير و هذه الرواية كانت حصيلتي الوحيدة ، لا أعرف هل سأجد وقتًا لأعود ثانيةً إلى هنا أم لا قبل انتهاء أيام المعرض

في الواقع شعرت بالأسى عليه و كأنني سلبت منه حلم جميل كان يخطط له، أعرف جيدًا ما معنى أن يفقد قارئ شغوف رواية ما، أعرف كم اليأس و الاحباط الذي يداهم من يقع في هذا الحظ العسر، لكن ماذا عساي أن أفعل؟!

_ما رأيكِ أن نتشارك بها؟!

صوته المتحمس و كأنه وجد كنزًا أخرجني من تفكيري لأنظر له بغباء كبير، و كأن عرضه كان بلغة غريبة لا افهمها، يبدو لاحظ تعسر فهمي فأوضح ببسمة بشوشة

_أقصد أن أقرأها أنا هنا و أنهيها و بعدها اعطيها لكِ لتعودي بها للبيت

ابتهجت بشدة و قد كانت فكرته موفقة و نالت إعجابي حقًا، هززت رأسي موافقة و قد فتحت حقيبتي لأخرج منها نصف ثمن الرواية لنتشارك بها كما قال، لكنه مد يده لتقف أمام حركة يدي في الهواء يرفض ما أفعله بكل روحه

_يا آنسة هذا لا يصح من فضلكِ، أنا من سيشتري الرواية

كانت حركة عفوية نابعة من شهامته و رجولته لكنها اصابتني في الصميم، لا أعرف من أين صدر هذا النبض الهادر في قلبي، ربما تأثرت عاطفتي من كثرة الروايات التي قرأتها!

رفضت برأس يابس أن يدفع هو ثمنها كاملًا ، لكنه صمم على رأيه و قد كان منيّ الاستجابة تحت رفضه القاطع لأن أدفع قرشًا واحدًا

أخبرني أنه سيجلس في ركن ما يبدأ في قرأتها و يحاول إنهائها بعد ثلاث ساعات، بعدما وافقت شعرت بالخطر لربما أخذها للأبد دون أن يُعطيها ليّ، لذا دون تردد أخذت منه رقم هاتفه و أعلمته أنني سأكون فوق رأسه في المكان الذي حدده بعد انتهاء الوقت، وافق ببسمة ساحرة التمعت معها النجمات في عيني، يبدو أن عبد الرحمن هذا سيؤثر على مشاعري لفترة من الزمن

بعد مرور نصف الوقت و بعدما أنهيت معظم أجنحة دور النشر المعروفة شعرت بالملل، و الغريبة شعرت بأنني افتقدت عبد الرحمن، وقفت أقيّم تفكيري الغريب هذا و كان الحل الأمثل هو أنني أخشى أن يسرق الرواية و يعود لمدينته الساحلية و يتركني أبكي على الأطلال، لكنني وبخت نفسي فالرواية من حقه هو من وصل لها اولًا و هو من دفع ثمنها و من أبسط حقوقه أن يأخذها معه، أحتد تفكيري و تماوجت مخاوفي بداخلي من فقدان الرواية أو عدم رؤيته مرة أخرى!

واتتني فكرة و كنت في غمضة عين أنفذها بشعور كبير بالرضا، حملت أكواب القهوة الورقية و ذهبت في المكان الذي اخبرني به ، وجدته منكبًا على الرواية يقرأها بشغف مرتسم على ملامح وجهه الحسنة، كان وسيم جدًا و هو يضع كفه تحت ذقنه بينما الأخرى تستند على الطاولة تحمل الرواية و عيناه تتمركز بقوة على كل ما كُتب بها، تنحنحت بحرج عندما رفع نظره ليلمحني أقف بعيد كالبلهاء أحمل أكواب القهوة ببسمة لا معنى لها!

تقدمت منه بنفس البسمة الفاقدة للمعنى لأضع كوب القهوة أمامه و أدعوه ليتناوله، شكرني كثيرًا و قد شعرت بامتنانه لما فعلت، دعاني لأجلس معه أحتسي قهوتي و ما كان منيّ مع هذه البسمة الرائعة إلا أن أوافق ، رفعت أنظاري إليه حينما سألني بتردد عن اسمي، فأجبته بهدوء و وجنة متوردة

_حبيبة

وهبني بسمة أكثر روعة و اخبرني بصوت عذب لامس شغاف قلبي أن اسمي جميل

_اسمكِ جميل يليق بكِ

وضعت وجهي بخجل غير معروف المصدر أرضًا و أصابعي تلعب فوق حافة كوب القهوة بحركات هوجاء أحرجتني أكثر، صوته كان باسمًا حينما وصلني ليحتل خُلدي بقوة و يزيد من توتري أمامه

_هوني عليكِ ، آسف لو تدخلت أكثر مما ينبغي

رفعت وجهي إليه بسرعة لأزيح عنه الحرج و عندها اتصلت أعيننا لفترة فقدت بها أنفاسي ، همست بخجل و صوت متلعثم من فيض المشاعر التي تكتسحني الآن

_القهوة بردت

طالت نظرته إليّ و بعدها عاد يقرأ ما تبقى له من الرواية بنفس الصورة الساحرة و التي جعلتني أشعر و كأني أسعد إنسانة في المكان لمجالسة شاب مثله

مضى الوقت و نحن لا نشعر به ، كان يتناقش معي كل فترة عن شخصيات الرواية دون أن يحرق ليّ الأحداث، و يسجل بعض الملاحظات في ورقة خارجية بينما يخطط بقلم رصاص على بعض الصفحات ، كان تفكيره عميقًا و يدل على شخصية مخضرمة في عالم القراءة ، تعلمت منه و تأثرت بشخصيته تأثرًا بدا ليّ أنه ليس عابرًا بالمرة

بعد انتهاء الثلاث ساعات أغلق الرواية و شعور بالرضا يحتله و يظهر جليًا ليّ، امتدت يده بالرواية ناحيتي يُخبرني ببسمة سعيدة

_هذه من الآن لكِ ، سعيد جدًا بمعرفتي بكِ يا حبيبة

وقف يضبط قميصه دون أن يترك عيني للحظة، شعور بالفتور يقتحم قلبي بأنه سيذهب و لن أراه مجددًا ، سلبني من شعوري بصوته الذي كان راجيًا كما اعتقدت

_رجاءً لا تلقي الورقة الخارجية و تتبعي ما بها، إن أزعجكِ يمكنكِ نسيان كل ما بها

ودعني و تركني أنظر لأثره بأعين غير مصدقة كل ما مررت به اليوم، شاب غريب كانت بداية رؤيتنا لبعضنا تُعلن عن كارثة يتحول لشاب مهذب وسيم جذاب تعلقت به!

وقف عقلي كثيرًا عند جملته الأخيرة ماذا كان يقصد بها؟! ، أكلني الفضول و دفعني لأفتح الرواية و قلبي يتعالى دقه دون سبب وجيه، فتحت الورقة الخارجية لأجد عدة أرقام مرتبة بدقة و لكنها غير مفهومة!، همست لنفسي ببلاهة و عدم فهم

_ماذا يقصد برقم ستة السطر التاسع ؟!

حككت رأسي بتفكير أنظر للرواية و كأني أطلب منها المساعدة، بعد فترة لا بأس بها اتسعت عيني حينما وطئت هذه الفكرة بالي، فتحت الرواية لأصل لصفحة رقم ستة وجدت خطًا عريضًا عند السطر رقم تسعة ليحوي جملة واحدة

_اليوم كانت أجمل صدفة

كنت متلهفة لأعرف ماذا بعد هذا السطر ، تتبعت الورقة الخارجية لأصل لصفحات و أبحث عن أرقام أجمع بها جمل منفصلة أراد أن يُرسل بها رسالة ليّ

_كنتِ جميلة حينما ضحك وجهكِ البهي

_في غضون ساعات استحوذتِ على تفكيري

_ربما سأكون شخصًا غريبًا لكن

_أنا حقًا

_معجبًا بكِ

_هل تعطي ليّ فرصة

_لقاء جديد

لم أشعر بنفسي و هذه الدموع تتساقط فوق صفحات الرواية ليسيل معها ما كتبه من قبل، كان شعورًا متبادلًا بيننا، كان إعجابًا من نظرة واحدة، كان اتصال لقلوبنا من قبل اللقاء، كنا نسير وفقًا لقدر كلًا منا ، سحبت نفسًا عميقًا لأهدأ من فرط سعادتي التي

تملكتني بسبب كلماته ، فتحت هاتفي لأتصل به دون تفكير كأنني أخشى فقدانه بعدما وجد أحدنا الآخر، طال الرنين و قد قلقت بسببه لكنه قبل أن يقتلني اليأس فتح الخط يُجيب عليّ بصوته الآسر

_حبيبة

تمالكت نفسي بصعوبة لأخرج له جلمة واحدة مختلط بها صوت بكائي بصوت سعادتي و يغلفهما لحن الحب

_هل لا زلت تملك قلمًا؟

وصلني صوته المندهش و الذي جعلني أضحك وسط دموع فرحتي

_هل هذا ردكِ على رسالتي؟

أجبته بصوت سعيد كطير يحلق عاليًا بحرية

_نعم لأنني سأعطيك عنوان بيتي لتقابل أبي

وصلني صوته الغير مصدق يهتف بسعادة اطربت روحي

_حقًا؟

اومأت و كأنه يراني لأخبره بضحكة خجلة خافتة

_نعم فأنا أيضًا معجبة بك

فجأة ظهر أمامي واضعًا هاتفه فوق أذنه ينظر ليّ بأعين سعيدة يتقطر منها الشكر ، أسبلت أهدابي للأسفل بخجل و قلبي يعزف عزفًا خاصًا بيّ و به ، عزف كلاسيكي كحال الرواية المترجمة التي جمعتنا ، عزف يليق بقصتنا التي نبتت هنا في معرض الكتاب.

*****

زمردة

مريم مبيّيل

أي في مملكة الحيوانات السعيدة، خلف الغابة البعيدة، المليئة بالحيوانات المختلفة الأشكال والأحجام، كان الجميع يحضر زفاف الأمير الأسد جونير، قررت الأرنوبة زمردة أن تخيط لنفسها فستان زفاف جميل يجعلها تبدوا كالأميرة، ذهبت في الصباح الباكر إلى أشهر خياط في المملكة السعيدة، خياط الخياطين وحيد القرن طوني، طلبت منه أن يخيط لها أجمل فستان بقماش من حرير ومطرز بخيوط ذهبية، وأخبرني كم سيكلفني.

وحيد القرن طوني: سيكلفكي هذا ألف دينار يا زمردة

. زمردة: أوووف لما كل هذا الثمن الباهظ، أتخيطون الملابس أم تنهبون الناس.

وحيد القرن طوني: لا يا زمردة هذا ثمن ماطلبتي.

زمردة: لكنني لا أملك سوى ثمان مائة دينار، وأريد منك أن تحضر لي ما طلبته منك

. وحيد القرن طوني: حسنا عودي في المساء وسأحضر لكي ما طلبته على حسب نقودك

زمردة: حسننا يا خياط الخياطين، سأعود في المساء.

عادت زمردة إلى منزلها الجميل أسفل شجرة الصفصاف الكبيرة وسط المملكة، حضرت حساء الجزر بالجبن، تناولت غدائها ثم أخذت قيلولة. في تمام السادسة مساء عادت زمردة إلى دكان الخياط طوني وهي تقفز قفزات طويلة هنا وهناك، كانت سعيدة ومتشوقة كثيرا لرأيت فستانها الجميل الذي أعده لها طوني. ألقت التحية بعد وصولها مباشرة: مساء الخير يا وحيد القرن طوني.

وحيد القرن طوني: أنعم الله مسائك يا زمردة، خذي هذا طلبك

. ناولها كيسا ورقيا به طلبها. فتحت الكيس بسرعة لكنها تفاجأة: يا إلهي ما هذا يا وحيد القرن طوني. وحيد القرن طوني: إنه طلبك يا زمردة، وابتسم.

زمردة: لكن هذه ليست سوى قطعة قماش وبعض الخيوط الذهبية، أنت لم تخط شيئا ماذا سأفعل بها أنا. وحيد القرن طوني: لقد حضرت لكي طلبك على حسب الثمن الذي دفعته لي، قطعت القماش بخمس مائة دينار، والخيوط الذهبية بثلاث مائة دينار، وأنت لم تدفعي لي ثمن تعبي وسهري وحبي الذي أنفقه في سبيل خياطة ثوب الأميرات لك.

اسمعي يا زمردة لكل عمل ثمنه وعليك أن لا تبخسي أحد حقه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطوا الأجير حققه قبل أن يجف عرقه."

أحنت زمردة رأسها خجلا ثم قالت: أنت على حق يا وحيد القرن طوني، أنا آسفة سأجمع لك باقي الثمن وأحضره لك نصيب تعبك

. وحيد القرن طوني: بورك فيك يا زمردة وأنا تحت أمرك في أي وقت.

*****

الخطيئة

ذكرى محمد الكشياطى

في ليلة قمرية الضّياء ،أخذت أركض هاربة من مصاقل الشّرف، بعدما تمكّنت من مراوغة الأعين المكلّفة بحراسة الفضيلة في مدينة تمجّدها نهارا على منابر الأئمّة و تنقضها ليلا ببعض القروش تمدّها رشوة حتّى تطمر الخطيئة في مقابر النّسيان و لا يسمع بها أحد، أفرّ بهاته البذرة التّي غرست في أحشائي في لحظة نشوة إنقلبت إلى نزوة أغواني فيها الشّيطان بطعم التّفاح المسكر على صدره لأستفيق بعدما رشفت من الخطيئة مبلغها على شعور النّدم يفتكّ بأوصالي فتكا وأنا الرّاحجة عقلا و المتديّنة قلبا قبل مجيئه، شعور تفاقمت أبعاده بعدما ذاب التّفاح المسكر ولم أجد لشجره أثرا..

أخذت ألهث أسبق أنفاس الفجر مطلعها وأنوار الشّمس مبزغها، ألتفت يمنة و يسرة لأعبر بشقّ الأنفس أيّام الحمل هاربة من واد إلى واد، من جبل إلى جبل إلى حين فاجأني المخاض وحيدة على إحدى الهضاب أتلوّى ألما، أصرخ من وقع السّيوف الحامية حول خصري ساعات ثقال لتبرد بعدها نيران النّصل على وليد أخرس، زرقاء شفاهه، يلفّ عنقه حبله السِرّي، أحمله بين ذراعيّا، أقّبله رغم لعنته، أدفنه في التّراب و أمضي بين غفوة ونعاس أسترّد صباحاتي بين أخواتي و أقراني و فستان أبيض طويل تتبعه زغاريد والدتي و نساء حيّي....

أستفيق من حلمتي والدّمع مرير، أصرخ لاطمة خدّيّا :إلى أين المصير؟ ..إلى أين المصير؟" على الواجهة الأخرى من المرآة، وعد ووعيد و عيون أُجِّرَت بحثا عنّي...

كلّ إلاّ الشّرف و لا سبيل إلى السّماح غير إراقة دمي .

و أنا بين حقل و آخر أكدّ لأجمع حقّ رغيف، لم أسلم من الأفواه المثرثرة و العيون الملاحقة لحليب ثديي المبلّل لثوبي و لم أجد سبيلا لإخفائه إلى حين جفافه،

لبن يسيل ليمارس عليّا آخر طقوس التشفّي منّى على عاري و خطيئتي.

منعزلة بآلامي، بوحدتي، باشتياقي لأرضي المنبسطة الرّطبة ، الندّي ثراها، بخيبتي بعدما ضغمت من سلام روحي ماشاءت و أضحت أيّامي لها أبارق يلفّها اليباب و الخراب من كلّ جانبٍ، غير شعاع نور واحد تسرّب إليّ من بين صخوري المسنّنة وفاجئني على حين غرّة،

حليمة، امرأة أربيعينيّة، طيّبة المحيّا، نيّرة، خيّرة، كانت تتّبع روحي المنكسرة أمامي، إكتشفت بقوّة فراستها ضعفي و ووحدتي، حدثّتني بحنوّ الأمّ لأطفالها، بأن تكون لي بعد اللّه السّند و المعين، إقترحت عليّا أن تزفّني لزوجها "سالم" بعدما فقدت الأمل في إسعاده بالولد ماكان لي أن أرفض..

كيف أرفض و كلّ الأبواب في وجهي مسدودة؟

و تمّ الزّواج بروح واجم وجهها، ساكن نبضها، إلى حين رزقت عوض الولد إثنين

لاقيت في عائلتي الجديدة الكتف المربّتة و الأنامل المضمّدة على الجرح، قرّرت أن أنسى، أن أطوي ماضيّا و ألقيه في غيابات النّسيان فاللّه بي أرحم و على توبتي مطّلع و شاهد.

قرار صدّقه العقل و تفّه قلبي المكدسّة أزقّته بلعبي مع إخوتي، بأحضان والدتي، بقهقهات

رفقاتي، ذكريات يغزوها الحنين و ينزل لها الدّمع مدرارا سكيب....

و ما كنت أدري أنّ العيون المؤجّرة إقتربت منّي قاب قوسين أو أدنى و السّيف هناك لمع نصله و النّار التّي أشعلت لأجلي تأجّجت و أشتدّ حسيسها...

خرجت في يوم قرّة، أجمع أعواد الحطب حين تحسّست وقع أقدام تتبعني، لكنّني سرعان ما نسيت الأمر و عدتّ إلى منزلي.

كانت تلك الخطى لأحد الوشاة قد لمحني حينها، أتّبع خطايا، علم مكان إقامتي و جمع أخباري ثمّ عاد مسرعا مزهوّا لبسه الطّمع .

أخيرا سينال الغنيمة من يد الأشراف و الأطهار!

وماهي إلاّ سويعات حتّى حوصر المكان بعدما تأكّدوا من خلوّ المنزل إلاّ منّي دون علم لهم بوجود طفليّا .

أُشهرت البنادق و تعالت الأصوات بأن" أخرجي إلينا، دنسة الرّوح و الجسد، قد وقعت وما لك من حتمك من هروب .

كنت حينها أتوضّأ بماء التّوبة قبل ماء الحياة بعدما أطعمت إبنيّا و أخلدتهما لنوم هنيّ،

بالكاد أتممت غسل ساقيّا ثلاثا متمتمة بالذّكر، مقبلة على صلاة العصر أفضفض لخالقي عن روح بدنف الشّوق لريح أمّي قد عانقني حدّ الإختناق، حين سمعت الجلبة و الضّجيج يحاوط المنزل من كلّ مكان..

علمت من نبرة الأصوات أنّ الفأس قد وقعت في الرّأس و أنّ أجلي محتوم قريب.

ما كانت لترتّج أوصالي جزعا إن لم يكن لي في هاته الحياة هاذين القلبين اللّذين أوّل ما نبضا،نبضا و هما في رحمي..

ماكان للدّمع أن يحرق الهدب لو علمت أنّي إن رحلت لن أترك ورائي روحين بنار اليتم يتضرّعان و أنا المرتوية بلظاه جرّاء فعلتي و أمّي حيّة ترزق.

أقبلت على الله أتمّ صلاتي أرجوه بعين التّائب الزّاهد، المفروط عقده من آخر أمل لي بالحياة أن يغفر زلاّتي و يرعى أبنائي .

إحتّد الضّجيج خارجا فأدركت أنّ تأخّري عليهم ربّما سيلحق ضررا بولديّا، إنكببت عليهما أقبّلاهما من وجهيهما، من يديهما ،ماتركت مكانا علي جسديهما إلاّ وطبعت عليه قبلة حمئة من فراقٍ سيأتي.

أسلمت زمام حياتي للحيّ الذّي لا يموت مؤمنة أنّ لا عمر فوق العمر الذّي كتبه لي و لو بثوان معدودة.

طلعت عليهم بثوب صلاتي الأبيض النّقي حاملة بين كفّيّا كفني، أدرت برأسي أنظر في الوجوه المحدّقة بي عن وجه أعرفه

رجال بلدتي بصغيرهم و كبيرهم حضروا، أبناء أعمامي و أخوالي وكلّ من أعرفه و لاأعرفه...

كان الشّرر يتطاير من أعينهم

لم أخف ! أصيب قلبي بسلام تساوت فيه الحياة بالموت.

تقدّمت نحو أخي بخطى ثابتة ،إلتقت أعيننا ،عيون تكاد شموس الحنق تحرقهما و عيون أخرى هادئة ،راضية و سالمة.

مددتّ كفني إليه قائلة "ها أنا ممدّة إليك كفني يا ابن أمّي و ما أنا لروحي عنك مانعة

أعلم أنّني مذنبة و اللّه على توبتي شاهد،

و لست أخاف الموت و إن أحرقتموني فإنّي برحمة اللّه عليّ مطمئنة و آمنة ".

ماكدتّ أنهي كلماتي حتّى صفعني أخي بكفيّن أسقطاني أرضا،

ركلني بساقيه صارخا في وجهي بأنّ لا توبة للمدنّسة شرفها، كلّ يغفر إلاّ الشّرف

لتتعالى بعده الأصوات : "فلنرجمها، أقتلها و لا تستمع إليها، نظّف عارنا وامح خزينا".

مسحت بطرف شالي الدمّ المتدفّق من شفاهي و نهضت فإمّا أن أموت واقفة كالنّخل لاصاغرة و لا ذليلة و إمّا أن أعود لإبنيّا سالمة.

إسترجعت شيئا من توازني و لملمت كلماتي هاتفة :" أنتم ! أتراكم أولياء اللّه الصّالحين على قبورك تقام القبب و يبارك ثراكم أم أنّكم أنبياء اللّه عن الخطيئة محجبون و معصومون و إنّ لمن الأنبياء من سهى و أخطئ،أنا من تعلم عنكم خبايا أنفسكم الأمّارة بالسّوء، أنتم من أكلتم بأعينكم من أجساد الفتايات العابرات الغثّ و السّمين إلاّ من رحم نفسه بنفسه من شرور الذّنوب و هوى النفس

أنا من أدركت خطيئتي فإستدركت إلى اللّه خُطايا، آواني حين لم أجد حضنا آوي إليه، تلقّفني برحمته حين ركلتني أقدام أقرب الأشخاص إليّ، رزقني الزّوج الحنون و الولد المعافى السّليم و أختا عوّضتني عن قرابتكم و دمكم.

كم عددكم ؟ أنطقوا !

ثلاثون ؟

أربعون ؟

أتيتم كلّكم لتفتكوا بجسدي، هذا جسدي أمامكم ياسادة، إفعلوا ما شئتم عساكم تنالون به وسام الشّرف! تسيرون به مزهوّون، رافعوا الأنوف و الرّؤوس و ترضون به شياطين الدمّ المتلحفّة بثوب العادات الظّالمة، أنا أمامكم فإمّا أن ترحموني لأجل ولديّا و تعفوا و إنّ من الصّخر ما ينفلق منه الماء العذب الأجاج، أو أن تصرّوا و تعنتوا و تتمّوا ما أنتم عليه عازمون".

وجلت العيون و عمّ الصّمت المكان لبعض الوقت و هم محيطين بي..

طأطأت رأسها حين جفّ حلقي منتظرة مآل مصيري.

إشرئبّت الأعناق و مدتّ الأبصار عندما صوّب أخي نحوي بندقيّته لمّا وسوس له الشّيطان بأنّ الخزي سيلاحقه إن أذعن لكلامي و سيظلّ علكة في فمّ كلّ متكلّم.

و ما إن بادر بقدح الزّناد عاقد العزم على قتلي، إرضاء لغرور نفسه حتّى أمسكت يد بكتفه على حين غفلة و إفتكّت منه سلاحه فأُطلقت لها الرّصاصة بعيدا في الهواء

فتحت عيني لأرى زوجي سالم ممسك بالبندقيّة مصوّبها في الجمع و واقف أمامي يحميها بظهره صارخا في وجوههم قائلا " جبناء في غدركم،أذلاّء بشرّكم

تأتون الدّيار و أهلها غائبون، والله ما علمنا أنّ هذا من شيم النبّلاء وذوي الأصول،

عشرات الرّقاب أتيتم لتفتكوا بامرأة لاحول و لا قوّة لها.

فتعالت الأصوات :" إنّها زانية، دنّست إسم بلدتها و مرّغت إسم عائلتها في التّراب".

ازداد حنق سالم عليهم وهو العالم بتوبتي و طهارة روحي.

ردّ عليهم بصوته الأشدّ : "علياء الآن في عصمتي، ماعلمت عليها يوما سوءا، أم أبنائي الذّين إنتظرتهم بمرّ صبري و حرّ إنتظاري، ماعادت عليكم عليها سلطة ولا كلمة،أنا زوجها، حاميها منكم و من غيركم، فإمّا أن تلقوا ما بأيديكم و تصفحوا و إمّا أن تراق الدّماء و تصل إلى حدّ الرّكب،لا فرق بين ظالم و مظلوم".

كنت أصغي إليه،أعلم أنّه شهم وأبيّ، لكنّ هاته المرّة الأولى التّي يدبّ في أوصالي شعور جميل تجاهه،كنت أستأنس إليه، أرتاح بقربه لكنّ هذا الشّعور غريب أوّل مرّة يسري في أعماقي و إستلذّت له روحي.

أكمل كلامه و بقي مصوّبا السلاّح في وجوههم، عمّ السكّون المكان و أخذ اللّيل يرمي بظلاله على الكون..

صمت خيّم على الجميع في حين بقت النّفوس مشتعلة ليقتطعها صوت الأذان يصدح في الأرجاء "الله أكبر، الله أكبر" و صوت الصّغيرين و هوما يبكيان يبحثان عنّي.

يتبعهما رجاء صوت متعب لاهث يقترب خلف الجمع

"ألا رحماك بإبنتي يا عبد الرّحيم، برضايا عليك يا ولدي إصفح عنها و أعف فإنّي عنها راضية"

كلمات إهتزّ لها قلبي،صوت أمّي يرنّ في أذني ،يتصاعد النّفس و تغرورق العين بالدّمع، أبحث عن ناحية الصّوت لتترائى لي والدتي تسير بعزم على عكّازها المعهود يلحق بها إخوتها البنات يجهشن البكاء،أركض ناحيتها مفلتة كتفي من يد سالم الذّي أمسكني بقبضته خشية طلقة غادرة، ركضت نحوها، إنكببت على أقدامها أقبّلها و العين تهرهر دمعا و الكلام إختنق في غصّة، أحطن بها أخواتي يحضناني بينما لاأزال ممسكة بكفيّ والدتي أقبّلها و أبكي بكائي المرّ.

تخرج بعد ذلك حليمة ولديّا و تتركاهما يسيران نحوي خطواتهما المتعثّرة.

تقع عيني عبد الرّحيم على الولدين، فيخفق قلبه، يجتمع في صدره غمام الرّحمة المتبعثر أطرافه فيتكوّم و يخرج من خلاله ودق الطّيبة و الأصل الطّيب، يعترض الولدين، يقبّلاهما

أرى ابنيا في حضن أخي غير مصدّقة لم أرى.

يلتّف الجمع بي، تهدأ العواصف المضطربة، تلين القلوب، يحضنني عبد الرّحيم مقبّلا رأسي.

يُطلق البارود في الهواء و يدوي في الأرجاء إعلان صفح و فرحٍ.

*****

فـلك

أحمد على أحمد محمد

تسمرت قدماي عندما عبرنا بوابه القصر الخارجيه فلم تقع عيني علي هذا المشهد الخلاب من قبل ، أشجار النخيل و الاكاسيا علي الجانبين و تلك الحدائق المترامیه رسمت امامي لوحه فنيه لاحدي جنات عدن وقفت مفتونا من روعه المشهد لكزني والدي بقوة لاستفيق

اسرعت لاهثا وراءه حتي وصلنا إلي بوابه القصر الداخليه قمت بهدمنه بدلتي المستعملة التي اشتريتها لتلك المناسبه وعدلت من وضعيه ذلك الطربوش القائم علي راسي و مسحت الحذاء بخلفيه البنطلون السفلي ليزداد لامعانا ، زاد توتري عندما فتح باب القصر الداخلي استقبلتنا الخادمه الي الداخل و انا التفت يمينا و يسارا أشاهد روعه القصر الممتليء بالتحف و الاثاث طرقت الخادمه باب الغرفه الخاصه بالباشا محمد كمال الدين حفيد الخديو توفيق وانتظرنا في الخارج لدقائق ظل خلالها والدي يكرر و ينبه علي بعدم التحدث مطلقا الا اذا سئلت من قبل الباشا.

هززت راسي مبديا الموافقه حتي اذن لنا الباشا بالدخول و رغم خوفي الشديد و رهبه الموقف الا أن استقبال الباشا لنا أزاح ذلك الخوف من قلبي و بدء لي أن الرجل مثقف لأبعد حد فمكتبته تحوي كتب هائلة تدل أن الرجل قاريء متمرس عكس تلك الصورة التي كانت في ذهني عن طبقه الباشوات و الامراء.

تحدث والدي إلي الباشا قائلا:

- دا بقي يا سعادة الباشا ابني احمد اللي قولت لمعاليك عليه خريج مدرسه الاداب والاول علي زمايله و ان شاء الله يكون عند حسن ظنك كمعلم و مربي فاضل للأمير حسن

نظر إلي الباشا فوجدني اختلس نظرات خاطفه من حين إلي اخر لتلك المكتبه و ما تحويه من امهات الكتب فبادرني قائلا:

-ايه يا احمد مسمعتش صوتك من ساعه ما جيت.

ابدا يا سعادة الباشا بس واضح ان حضرتك تعبت جدا لما جمعت الكتب دي كلها-

-الأهم من جمع الكتب انك تعي ما تحويه من أفكار.

فقاطع والدي الحوار قائلا

- انا عايز معاليك تطمن احمد ابني بيكتب و بيترجم الكتب و المقالات للجرايد و المجلات

نظر الباشا لي نظرة استحسان فكان في نظره أن ابناء جيلي غير مهتمين بالقراءة الا أنه فؤجي بأني قاريء و مترجم و كاتب ثم انهي اللقاء علي أن ابدا من الغد مهام عملي كمربي و معلم لنجله و أثناء مغادرتنا القصر اذ بي اري احدي الحورعين تنطلق في الحديقه بفستانها الفيروزي و نظرتها البراقه و ابتسامته الجذابه لم انم في تلك الليله مازالت افكري في تلك الحورعين و لكن ما شغل بالي و زاد من قلقي تحذير والدي المستمر من ارتكاب أي خطأ بسيط يثير غضب الباشا ففضل الباشا علي أسرتي كبير جدا فهو من توسط لاخي الاكبر محمد جلال في دخول المدرسه الحربيه و الآن الحقني لديه لاكون معلم لنجله الاصغر مقابل ثمانيه جنيهات شهريا كان مبلغا كبير لا استحقه لكنها كانت مساعدة بطريقة غير مباشرة لوالدي الذي عمل لدي الباشا كاتبا منذ اربعه عشر عاما

توجهت في اليوم التالي إلي قصر الباشا ترن في اذني كلمات والدي و تحذيرته فزاد قلقي الذي كاد ان يعصف بي و يدفعني للعودة من حيث اتيت خشيت أن اكون سبب لغضب الباشا علي اسرتي دون قصد ، اخترقت بوابه القصر الخارجيه عبرت ممشي الحديقه دون أن انظر حولي قامت احدي الخادمات باصطحابي إلي الفرنده المطله علي حديقه القصر في انتظار نجل الباشا اقتربت خطوات تسير نحوي بانتظام لم أعرف سببا لخفقان قلبي ،زاد توتري عندما وقفت أمامي ممسكه بيد الأمير الصغير انتفضت من مكاني عندما رايتها عن قرب كان جمالها هادئا فوق الحد داعبت أصابعها شعر شقيقها الصغير و كأنها زلزلت قلبي من مكانه ثم قالت لشقيقها

دا مسيو احمد جلال مدرسك الجديد مسيو احمد تقدر تبدء مع الأمير حسن دروسه-

ظل صدي صوتها في احلامي و يقظتي ،مرت شهورا عدة لم اشعر بها من فرط سعادتي، اصبحت شبه مقيم بالقصراتابع الأمير الصغير في دروسه كما سمح لي الباشا بالاطلاع علي ما شئت من مكتبته و ان احضر الصالون الثقافي الذي يقيمه اسبوعيا ، أصبحت كأحد أفراد عائلته حتي في رحلاتهم داخل مصر كنت متواجد معاهم و كان الباشا يتابعني و يدعمني و توقع لي أن اكون اديبا ذو شأن عندما كتبت اولي رواياتي .

اما الأميرة فلك كانت هوائي الذي اتنفسه كانت تقترب مني تارة و تبتعد تارة شغفني حبها و اجتاح عالمي الهادي عصفت رياح حبها بشراع قلبي فغرقت في امواج حبها

نشرت اول روايتي بتشجيعا و دعما من الباشا ورويت ظمىء حبي لها بتلك الروايه فما لم استطيع ان ابوح به صراحه قولته من خلال روايتي ، حتي كانت ليلة راس السنه موعدا لحفل ساهر بقصر الباشا كانت فرصه مواتيه حفله تنكريه سوف تكون طريقي لاعترف لها بما احمله لها من مشاعر ارتديت زي برنارد شو الكاتب الشهير و ارتديت هي زي كليو باترا

ملكه مصر ندمت لأني لم ارتدي زي أنطونيو اقتربت منها أتحسس خطواتي انحيت امامها قائلا

- فلتسمحي لي ملكه مصر العظيمه أن اهديها ذلك الكتاب فقبلت يدها دون وعي حاولت أن اختفي من امامها بسرعه لكنها بادر

-لقد قبلت هدايتك ايها الكاتب العظيم ، و حان وقتي أن ارد هديتك-

خفق قلبي من كلمتها و استشعرت أنها قررت أن تحاسبني علي فعلتي تلك حسابا عسيرا

خلعت قناعها و انتظرت مني أن أخلع قناعي ترددت كثيرا و لكني رضخت لرغبتها و التقيت اعيننا لم تتفاجيء فكانت تعلم اني من أقف خلف القناع و سالت من عيني دمعه لم استطيع ان اخفيها فأقتربت مني في صمت و مسحت تلك الدمعه بيدها و بصوت رقيق قالت ليه الدموع دي يا احمد-

كانت المرة الأولي التي تنادي بها بأسمي دون أن تسبقه بكلمه مسيو طار قلبي فرحا فقلت

لأني احبك يا فلك و عندما تعلمين ذلك فلن استطيع ان اراك مرة اخري

ابتسمت و أشارت لي بالسكوت و ادارت ظهرها و ارتدت قناعها و بصوت انثوي ناعم قالت

نكمل كلامنا بعدين-

واقفت حائرا من غموض كلامها و ظللت اتبعها فوجدتها وقفت مع شخص آخر كان يرتدي قناع يوليوس قيصر و لكنها لم تقف معه طويلا و تركته و هي ثائرة غاضبه و في صباح اليوم التالي ذهبت إلي القصر و انا اتشوق إلي رؤيتها سرنا سويا في حديقه القصر لأول مرة كانت تغمرنا السعادة ، مرت الأيام و نحن نتحين أي فرصه لمخاطبه الباشا الا أني اتردد.

وقامت ثورة الضابط و عزل الملك فاروق وهرب من هرب من أسرة محمد علي خوفا من بطش الضباط و لكن الباشا رفض أن يترك مصر وظلت ابنته فلك والأمير الصغير معه رغم الحاحه عليهم ان يتركوا مصر ، اما انا كنت مطمئن لحركه الضباط لما سمعنها من وعود و اطمنئت أكثر عندما علمت أن اخي محمد جلال من ضمن الضباط الاحرارانطلقت إلي قصر الباشا ابشره بأن ما فعله لأسرتي سوف يرد اليه عن طريق اخي و لكنه لم يبدي أي رده فعل بل اوصاني أن اهتم بأبنته فلك و شقيقها فوعدته أن احافظ عليهم بحياتي و ما هي إلا ايام حتي فؤجئنا بحضور لجنه تصفيه الاقطاع إلي القصر كان المشهد يدعو إلي الاسيء و الحزن بضعة جهلاء حضروا لحصر ممتلكات الباشا و رغم مقابله الرجل لهم بود كبير الا انه لقي منهم غلظه و حده في التعامل دون مبرر ، تركهم الرجل يحصرون ما يشاؤن و جلس بالفرنده هادئا يدخن سيجار و كأن الأمر لا يعينه، اما أعضاء اللجنه فما دون بدفترهم اقل بكثير مما اخذوه لأنفسهم و لرؤسائهم اندفعت نحو اللجنه و الغضب يعتريني سببتهم و كادت افتك بهم ، هددتهم بشقيقي محمد الذي لن يرضي عن تلك الأفعال التي تسيء إلي الثورة ، انصرف أعضاء اللجنه خوفا مني اقتربت من الباشا الذي اشفق علي و اخذ يواسيني كأنني صاحب الكارثه و في صباح اليوم التالي حضرت اللجنه مرة اخري و كان علي راس اللجنه شقيقي محمد جلال الذي هاجمني امام الجميع و اتهمني بأني اعيق عمل الثورة لتصحيح المسار، و لكن ما احزني حقا هو جفاءه لهذا الرجل النبيل الذي كان له أكبر الفضل علينا بعد الله ، لم اصدق ما رايته ليس هذا شقيقي الذي عرفته و قضينا عمرنا سويا فلقد اغرته السلطه و المناصب.

انتقل الباشا إلي فيلاتهم الصغير بأحدي ضواحي حلوان بعد أن تم وضع القصر تحت تصرف لجنه تصفيه الاقطاع ثم انتقلت ملكيه القصر إلي شقيقي العميد محمد جلال و رفض والدي و والدتي الي الانتقال للاقامة معه بالقصر لم انقطع يوما عن زيارة الباشا رغم

نظرته الممتئله بسيل من الأسئلة و في احدي الأيام ابلغتني فلك أن الباشا يطلبيني للقاء عاجل وجدته يومها ثائرا ينظر إلي و كأنه اسد ينظر إلي فريسته قبل التهامئها و خاطبني قائلا فعلا اتق شر من أحسنت اليه انتوا لسه مكتفوتيش يا احمد أفندي.

انا بندم علي اليوم اللي فتحتولكوا فيه بيتي و اعتبرتكوا اهل ثقه بيتي اللي أخوك اخدوا غصب و املاكي اللي اتحفظوا عليها لكن اسمع يا احمد الأميرة فلك بنت محمد كمال الدين حفيد الخديو توفيق مش للبيع اقول لاخوك الظباط الكلام دا

جلسنا انا و فلك في حديقه المنزل اخبرتني ان شقيقي عرض عليهم ان يساعد ابيها في استرداد ممتلكاته مقابل اتمام الزواج منها صعقت من هول الصدمه لم تعي اذني ما سمعت بل علمت منها أن اخي كان يطاردها من إن إلي اخر و انه سبق وتعرض لها من قبل في الحفله التنكريه و كان يرتدي قناع يوليوس قيصر وانها رفضت اخباري لعدم الوقيعه بيننا.

توجهت الي غرفه الباشا ممسكا بيد فلك نظر الينا الباشا و لم يعقب طلبت يدها فوافق في صمت هربت بها الي بلدتنا بمحله سبك وعدت إلي القاهرة ظل شقيقي و اعوانه يبحثوا اياما و شهورا في كل بقعه في مصر و لم يجدوا لها أثر حبست و عذبت و لم اطلعهم علي مكانها، عاما و بضعه اشهر ذقت من أجلها العذاب و لم اشيء بمكانها.

و عندما افرج عني توجهت الي فيلا الباشا و علمت انه توفي و مازالت ابنته غائبه عدت إلي مسقط راسي و رايت سليله أسرة محمد علي تسير بين بنات قريتنا كأنها واحدة منهم ترتدي ملابسهم و تتكلم بلغتهم فلما راتني رمت حملها علي الأرض فتحطم و هرولت نحوي فأحتضنتها بكيت من اجلها و بكت من اجلي و لكننا في النهايه بقينا سويا .

*****

سجينات الحرية

منى نصيب

"الحمد لله على هذه الجنة"

قالت وهي مبتسمة

أشعة الشمس تثيرها،تربكها،تبطئ حركتها، ثم توقفها متأملة المكان من حولها،متمعنة في حدوده .

كانت أول مرة تلتقي النور في عالمها الجديد،تنقلت ببصرها بين تلك الوجوه المصفرة،تفحصتها جيدا. لم يمر بذاكرتها من قبل أنها ستشاركهن يوم الحشر أو عبور السراط لكنها فعلت ذلك.

طق...طق....طق . أصوات زلزلتها . ذكرتها بيوم لم ولن تنساه.

بخطوات سريعة دخلت البافيون...وصلت آخر اللوتوروت المظلم،تنقلت بين البياصات وذلك الهدوء يقتلها فبقية السجينات قد بقينا في اللاريا.

جلست في ركن مظلم وفجاة سمعت صوتا تعرفه يقول:"ألهتنا الحرية يا كارما حتى زرنا السجون"

إنه صوت الخالة العكري رفيقة دربها تلك المرأة القروية التي قادت حركات إحتجاجية .فهي امرأة ستينية لا ترى لها شعرة سوداء تحمل ذاكرة شابة،قد قست عليها الحياة ليجعل منها القدر سجينة عادات بالية.توفي زوجها إثر انهيار المنجم فزوجوها بأخيه إلا أن زوجها الثاني كان ذا جبروت لا يأبه بقوة القانون بل يكرس قانون القوة.ولم تأبه يوما لتصرفاته ،

فكانت تخفي الندوب وتلبس قناع لا يشبهها وتنزل إلى الميدان مع أصحاب الشهادات العليا وعمال المناجم تشاركهم غليان الشارع ،كانت كاللبوءة في الساحات لكنها نملة في بيتها فبعد كل اعتصام كانت تتعرض إلى أقسى أنواع العنف.وقد تقاسمت المعاناة مع كارما تلك الفتاة التي جاءت إلى تونس تتوق إلى الحرية و مستقبل أجمل لكنها فوجئت بإستغلال إقتصادي كانت تعمل لمدة لاتقل عن اثني عشرة ساعة في اليوم بأجر زهيد وأحيانا تتعرض للتحرش والعنصرية .

وذات صحوة أمطن اللثام للدفاع عن نفسهن وعن النساء اللواتي يعانين نفس المشاكل وتشاركن في مشروع إنساني للتعهد بالنساء ذوات الأوضاع الاجتماعية الهشة. مستعينتين في ذلك بتمويل أجنبي وقد وقعن عقد بينهن وبين ممول المشروع لكنهن لم تعلمن محتوى العقد ولاغاية الممول.

نظرت كارما إلى الخالة العكري وقالت:" بنود عقودهم تسابيح تهتف بالحرية ونواياهم سجون لانعرف لها حدود".

أجابتها الخالة العكري:"لقد علمونا أن نحتفل فالحياة لكنها أعطتنا درسا قاسيا،فمن أجل التحرر قدمنا حريتنا قربانا".

فتحت الأضواء مع تصفيق جميع وكانت فرحتها لا توصف.

نظرت الى الشاشة الكبيرة فقد ظهر اسمها مسبوقا بعبارة "نص و إخراج....."

الحمد لله اخيرا حلم بدا يتحقق...

وستتحقق الأماني السجينة في صدور النساء. لتكون جنة الحرية والنصر.

*****

خاطر

نبيلة قطب

شرذمة من الرجال والنساء متناسبة الهيئات، جمعوا سويًا لجهات شتى، شاحنة عامة يقودها ربها، دخان ينبعث من بين أصابع شاب بالمقعد الخلفي أسند رأسه على شباك بجانبه... يعتصر من ألم نفسي يعانيه.

تحذير من السائق له بالمقايضة بإطفاء الدخان أو النزول من الشاحنة، كان عنيفًا رد الشاب وآثر النزول على التحكم، انتحى السائق جانبًا لينزله... قطرات من الدموع لمعت في عينيه حين النزول كانت بقايا نحيب طويل... أدرك السائق الموقف وأستدركه نافيًا وقوفه لأجل غرض نزوله... شيء من العاطفة حركه تجاه الألم النفسي الذي يعانيه الشاب، علل وقوفه بأن قصد محطة البنزين وأن التبغ (السيجار) ممنوع بالمحطة...

عاد الشاب لمقعده بعد هذه الإنسانية من السائق، فاستدار السائق دون التطرق لمحطة البنزين... فضح الموقف النبيل... ضحك الجميع وأولهم الشاب من ذلك، قطعت ضحكاتهم بسؤال عارض من السائق، ترك الجميع وأصاب الشاب... " إلى آين"... تنهيدة حارة صحبتها إجابة اعتيادية... معهد الأورام...

*****

قبل ان يسدل الستار

محمد رزق شعبان

أسند رأسه إلى نافذة القطار وهو ينظر نظرة شاردة خاوية منهكة تجاه اللاشيء.

اختفت عن ناظريه المشاهد المتلاحقة للمروج الخضراء وأعمدة الإنارة وحلت محلها مشاهد متفرقة من حياته.

اليوم عيد مولده .. وحينما تدق الساعة الثانية عشر يتم عامه الخمسون وحيدا ..بلا أهل ..بلا ولد ..بلا زوجة .. بلا أمل .

عندئذ ابتسم فى مرارة وهو يفكر فى سنوات عمره الخاوية التى لم يصنع بها شيء.

تذكر أجمل أيام حياته ..... الطفولة

وهو الطفل المدلل قرة عين والديه ومصدر فرحتهما طلباته أوامر واجبة التنفيذ.

تذكر فرحته الكبرى عندما أوفى والده بوعده وأحضر له الدراجة التى طالما داعبت أحلامه.

كم كانت رائعة هذه الأيام بما تحمله من براءة وأمنيات وأحلام.

اصطبغت النافذة أمامه باللون الأحمر القانى بدلا من لون المروج الخضراء وهو يتذكر حادث السيارة الذى تسبب فى وفاة والديه وأصبح رسميا منذ هذه اللحظة يحمل لقب يتيم تلاحقه نظرات الشفقة.

تذكر المعاناة والأسى وقد أصبح بلا سند أو أمان وقد انفض عنه كل ما حوله وقد كتب عليه أن يخوض معترك الحياة مبكرا متنازلا عن كل أحلام الطفولة وبراءتها الموءودة.

لم يكمل تعليمه ولم تتاح له أي فرصة عادلة فى الحياة مثل أقرانه بل كتب عليه الشقاء وسط مجتمع لا يرحم.

اختفى اللون الأحمر ليحل أمام ناظريه لوحة بديعة التكوين للزهور متداخلة الألوان وسط المروج الخضراء مرة أخرى وهو يتذكرها ...

أول حب ..أخر حب ..أرق قلب

الأخت .. الصديقة .. والحبيبة

كان وجودها بمثابة أمان الأب المفتقد وحنان الأم الغائب ..كانت التعويض العادل له لكل ما مر به.

كانت حلما أجمل من أن يتحقق استفاق منه على كابوس .

قوبل طلب الارتباط بها والزواج منها بالرفض والاستنكار والاستهجان من قبل أهلها وذويها.

كيف تجرأ ولم يضع فى الحسبان الفوارق الطبقية والاجتماعية والمادية والتعليمية وأصل كل منهم ؟

ألا يدرى من هو ؟ وماذا كان يريد صنعا ؟ وكيف صور له خياله أن يقدم على فعل ذلك؟

هل كان له ارادة واختيار فى مسار حياته ؟

وهل أمثالهم يؤمنون أن من مثله لديه قلب ينبض بالحب ؟

استيقظ ذات صباح ليجدها وقد اختفت من حياته للأبد

فجأة تغيرت لون النافذة أمام ناظريه .. اكفهرت السماء وتنازلت عن كل ركن فيها للغيوب القاتمة السوداء بما يكفى لإلقاء الحزن فى أقسى القلوب وأغلظها .

ولكن بالنسبة له يكفيه ما يملك من حزن استوطن قلبه واحتل جسده حتى أصبح أسيرا له

وكأن السماء تشاركه الحزن والغضب

أصابه جرح غائر فى قلبه لم يندمل أبدا

توقفت حياته عند تلك الصورة لم تبرحها

تجمد الزمن بالنسبة له وأصبح لا جديد يذكر ولا قديم يعاد

لم يستطع أن يتزوج ....لم يستطع أن يحب مرة ثانية

لم يستطع أن يتعايش مع واقعه ..لم يستطع أن يساير الحياة

سقط فى هوة العزلة والوحدة واليأس

تقلصت أحلامه وأمانيه حتى أصبحت متواضعة

شيء ما تجمد فى داخله ..وقع فريسة للأمراض تباعا ..داهمته شيخوخة مبكرة قبل أوانها

وأصبح يحمل انطباع دائم لكل من يراه أنه سقيم ذو عاهة ما

وها هو ذا على مشارف الخمسون

نصحه الجميع بالذهاب إلى العاصمة بحثا عن أي أمل فى العلاج

كان يعرف جيدا أنها نهايته المحتومة

يعرفها منذ أن تأمل الطبيب الفحوصات قبل أن يخبره بأن حياته فى خطر وأن مرضه قد استفحل ووصل إلى مرحلة اللارجعة والحلول مؤقتة

وها هو عائد لقريته ومعه فحوصاته وكأنها بمثابة حكم الإعدام وتصريح بالدفن

انقشعت الغيوم القاتمة تدريجيا وعادت المروج الخضراء ووجد أمام ناظريه شجرة يانعة مثمرة بالفاكهة من النافذة وقارن بينها وهى التى تثمر كل ربيع وبين سنوات عمره الخمسون التى لم تثمر أبدا

والأن لم يعد متبقي الا أيام معدودة ..ربما ساعات أو دقائق .. لا يدرى .. فماذا عساه أن يفعل ؟

رباااه عقارب الساعة تقترب من الثانية عشر عيد مولده الخمسون

هو يشعر بالنهاية دانية جدا دونا عن اى وقت مضى

كان القطار قد أبطأت سرعته وتوقف فى المحطة التالية إيذانا بدخول ركاب جدد ومغادرة أخرين

فجأة اتسعت عيناه فى دهشة ولم يصدق ما يراه...

هل من الممكن أن تكون هي ؟ نعم إنها هى

لا يمكن أن يخطئها ..ولو أخطأتها عيناه الكليلة فلا يمكن أن يخطئها قلبه أبدا

هل قرر القدر أن يسدى إليه معروفا فى الوقت الضائع ؟

نهض من مجلس وتحامل على نفسه وتحرك فى إعياء شديد تجاهها تماسك بصعوبة حتى وصل قبالتها ونظرا اليها مليا وعيناه الدامعة تتفرسها قائلا بصوت متهدج :

_ بعد ثلاثون عاما يشاء الله أن ألقاك هنا..والآن ؟

التفتت إليه بعيون جامدة ذاهلة وملامح مضطربة وأنفاس متلاحقة وقبل أن تنفرج شفتاها سمعت صوت صارم يأتى من خلفها :

_ لماذا تقفين هكذا ؟ ومن هذا ؟ هل تعرفيه ؟

التفتت لزوجها بوجه شاحب وهى تجلس على مقعدها قائلة بصوت خافت :

_ لا شيء انه يبحث عن مكان خالى ...لا أعرفه

أصابه الذهول والوجوم وحاول جر ساقيه فى خطوات واهنة بصعوبة بالغة للابتعاد عن موقعهما

نظر لساعته فوجدها متوقفة عن العمل وعقاربها متطابقة على تمام الثانية عشر

ساورته الشكوك فى كل شيء

لم يعد واثقا من أي شيء

هل هي خيالات مريضة لروح معذبة فى طريقها للزوال؟

أم هلاوس عقل أسقمته العقاقير والأمراض ؟

أم هواجس قلب تمناها أن تكون حقيقية ؟

أم هي سكرات الموت ؟

شعر بدوار شديد يكتنفه ورأسه تزن أطنانا والرؤية أصبحت مشوشة سقط على أرض عربة القطار وأغمض عينيه فى استسلام تام ووجد نفسه يحلق فى خفة وينظر من عل لجثمانه وللملتاعين المحيطين به يحاولون إفاقته وإسعافه

وجدها تقف بينهم ..

وجدها تقف بالقرب من الجسد المسجى على أرض القطار باكية بكاء يمزق نياط القلوب

عندئذ أدرك كم أن القدر كان كريما معه أيما كرم فى اللحظات الأخيرة

حلقت روحه فى بهجة وانتشاء ..الآن فقط تستطيع أن تستريح وتهنأ بعد أن ظلت روحا ثكلى ومعذبة طوال حياته

فقد أثمرت اللحظات الأخيرة من حياته واللحظات الأولى من عامه الجديد ....قبل أن يسدل الستار .

*****

بعضًا منه

شيماء جاد

هذه المحطة، كالمعتاد أراه جالسًا على المقعد الخشبي، يقرأ صحيفته دون أن يبالي بتدافع الناس نحو رصيف القطار في انتظار وقوف القطار على المحطة كي يندفعوا إلى داخله، تدافع معتاد وكأنه موجود منذ الأزلية، لكنه هو كما هو، هادئ، ينهض في بطء، يتلفت حوله قبل أن يشق طريقه داخل جمع البشر المتكدسين حوله، لا يبدو بأنه متأثر بتلك الروائح العالقة في الجو أو بتدافع الناس من حوله، يبدو شاردًا في عالم آخر، تلك البسمة البسيطة على شفتيه تأسر القلب، نظرة عينيه الغائمة تحكي ألف قصة حزينة، وجوده مع لا وجوده يرسمان صورة مختلفة عن البشر، يسير بخطوات متهملة حتى آخر العربة حيث مقعدي الأثير، يقترب في صمت ويقف في سكون، وبعد محطتين أو ثلاثة يصبح المقعد أمامي شاغرًا فيجلس في صمت، كل تصرفاته حنونة، جلسته، نظرة عينه، يطالعني وكأنه يعرفني منذ سنين، يهز رأسه هزة لطيفة ويقول بصوت خفيض: مرحبًا.

يغص قلبي مع صوته الخافت وكأنه يعنيني بمرحبًا تلك من كل قلبه، لكنه سرعان ما ينسى وجودي، يخرج كتابًا أو صحيفة، يدفن رأسه داخله أو داخلها، ثم يمر الوقت، يترك لي مطلق الحرية في تأمله، بشعره الأجعد الممشوط بعناية، ملابسه النظيفة المرتبة بالرغم من بساطة حالها، حذائه البسيط اللامع بالرغم من فقر خامته، كل مابه مريح، بسيط يأسر، هكذا كنت أراه.

متى ولماذا حدث هذا؟

أما متى فلا أدري، ربما منذ أن بدأت رحلاتي اليومية بالقطار إلى العمل، ربما منذ أن لفتني جلوسه الدائم بنفس المقعد، ربما منذ أن شعرت به يختلف عن كل من يحيط بي، مختلف إختلاف الشمس والقمر ،السماء والأرض، الصيف والشتاء.

وأما لماذا؟ ربما لأن روحي وروحه متشابهان، يألفان المكان، لا أغير مقعدي بالقطار ولا يغير مقعده بالمحطة، يقرأ كتابًا وأقرأ كتابًا، ربما نحن توأمان لم يعرفا بعضهما من قبل، كنت حالمة، رومانسيتي تأخذني لجزيرة الأحلام فتنسج خيوطًا واهية كخيوط العنكبوت لكنها تطليها بالوردي، ذلك اللون الذي لازمني منذ طفولتي، وعشقته بمراهقتي، وطليت به كل الموجودات حولي حين نضوجي.

أعرف حدودًا لورديتي، لا أتجاوز بها، بضع لحظات مسروقة من الخيال أبني بها قصصًا جميلة ثم أعود لواقعي أستأنف حياتي، أرفض الإرتباط لمجرد الزواج ،أريده حبًا رغم استنكار كل من حولي لأفكاري المنعوتة بالطفولة، إذًا فلأكن طفلة عنيدة ولأتشبث بأحلامي في تلك الحالة.

اكتفى القلب من تأمله، أشبعت خيالي الوردي بملامحه ثم عدت أمسك كتابي أستأنف ما أقرأ ،أقرأ ذلك الكتاب وحاجبي ينعقدان، أنفي يتجعد دلالة على إشمئزازي، دمعة صغيرة احتضنتها بين رموشي مانعة إياها من السقوط.

_أتعرفين أنك تعبسين ويبدو عليك الضيق؟!

رفعت رأسي نحوه يتسرب صوته الحنون داخلي، يدغدغ قلبي، يهتز تفكيري، سألت بحذر: ماذا؟

تبسم بسمة متهالكة حزينة، نظر نحو الكتاب بيدي، قال بنفس الصوت: تلك العلامات المتواجدة على جبينك، إنها تسمى العبوس.

وضعت يدي تلقائيًا على جبيني وكأني أنتوي فردها، اتسعت ابتسامته بينما يقول: هل وصلت لتلك الجزئية حيث يقتحم الناس حصون المدينة؟

ملت أتتطلع لكتابي أناظر الصفحة التي كنت أقرأها وكأنني نسيت أين كنت، هززت رأسي إيجابًا بينما أقول بعفوية أكرهها في نفسي: نعم بالفعل، حزنت جدًا لما حدث.

تنهد قائلًا: وبالواقع صور محزنة تفوق تلك الحكاية، لكنها مشيئة الله أن تتفاوت مشاكل البشر واحتياجاتهم.

أردت إطالة الحديث معه، كان قلبي يهفو لذلك، لكني عاندته بكل طفوليتي الدفينة، هززت رأسي وملت نحو كتابي أقرأه، لم أقرأه بل كنت أقنع عقلي المشتت بقراءته، خالفت كل أهوائي وصمدت، رغم اختلاسي نظرات نحوه لأجده عاد لكتابه، وبين الفينة والفينة يرفع رأسه ينظر نحوي ويبتسم، ربما يراني بلهاء بكل تشتتي، أو بملامحي المنعقدة، أو بشرود ذهني، لا يهم، المهم أنه رأني، رأني بعد أشهر من مراقبتي له في صمت، وقلبي قد أقام إحتفالًا بسيطًا بتلك المناسبة فصار يتراقص بخفر وحياء، كفتاة تهفو للتمايل على الموسيقى لكنها تخجل من أعين الناس.

نهضت للنزول بمحطتي، كانت محطتي تسبق محطته، لا أعلم بكم، وددت سؤاله، وددت تجاذب أطراف الكلام، وددت أن أظل أثرثر معه وعنه وعن كل شيء يخصه، لكنها النهاية اليومية المعتادة، أضع كتابي بحقيبتي، أعدل من ملابسي بينما أحرك قدمي التي تيبست من جلسة القطار المؤلمة لكل عظمة يحتويها جسدي، ثم أهبط، أريد أن أنظر خلفي كل مره لأرى إن كان قد انتبه لي أم لا، لكني لا أجرؤ، أما اليوم فقد فعلتها بخجل وعلى استحياء، التفت فرأيت عينيه الحنونة تطالعني وكأنها تجبر مشاعري المتخبطة وتبثها الإطمئنان.

كان يومي مختلفًا، شعرت وكأن ما كنت أصبو إليه قد حدث، وأنه أخيرًا رأني، فرحة تغمر أعماقي، تطوف حاملة باقات عطرة تعطر بها جوفي، تدق على كل باب داخلي تثرثر له بأنه تحدث معي، تلك المشاعر التي تعودنا عليها في مراهقتنا وذهبت صارت تلح علي، وأنا التي تجاوزت تلك المرحلة منذ سنين.

مر يومي بين أطياف من نظراته الحنونة تطالعني، وهمسه الحزين يتسلل لأذني، يخبرني بأني أعبس، إذاً ماذا سيحدث إن رأني أرمقه بتلك النظرات الفضولية التي تفضح مشاعري المتخبطة؟

في طريق عودتي كنت قد استهلكت كل أفكاري الوردية وعدت كما أنا، أفكر بمنطقيتي ورزانتي المعتادة، مرت ساعات الحلم واستنفد العمل ما تبقى منها، وعدت لكينونتي المتعبة المجهدة بعد مرور ثمانية ساعات من العمل وساعة بالقطار صباحًا ومثلها ساعة بالمساء للعودة، حينها كان التعب يستنفد مني كل ما أملكه، ويترك لي شعوران ضاريان ينهشاني، شعور بالجوع يتسرب لأعضائي، جوع للطعام وجوع للراحة وجوع لفراشي أرتمي عليه فيحتضنني برفق كما تحتضن الأم وليدها، وشعور بالفراغ يحيط بكياني من كل جانب، فالعودة لمنزل خال تشبه العودة لسجن إنفرادي تطل عليك جدرانه التي تخنقك بملامحها الباهتة وصورها المعلقة التي تحمل قبسًا من ذكريات كانت سعيدة يومًا ما.

دخلت عربتي، ارتميت على مقعدي المعتاد، ثم أغمضت عيني، فعقلي ما عاد يتحمل أن اقرأ ،أضع سماعات الهاتف بأذني وأستمع ،إنها ساعة التلقين هكذا أسميها، أحيانًا أستمع للقرآن، أحيانًا أستمع لكتاب إلكتروني، أو برنامج أحبه، لا يهم فالمحصلة واحدة، مجرد فترة نقاهة أمضيها بعد العمل وقبل العودة لمحبسي، تعيد بعضًا من الطمأنينة لروحي المجهدة المتعبة.

هل أنت نائمة؟،،

فتحت عيني دفعة واحدة وصوته الحنون يخترقني للمرة الثانية في يوم واحد، تطلعت نحوه بدهشة، نطقت بجملة واحدة: هل هذا موعد عودتك؟ لم أرك هنا من قبل.

اتسعت ابتسامته، قال بمزحة: لأنه ليس بموعد عودتي، لكني تأخرت اليوم بالعودة.

هززت رأسي، وكأننا معتادان على الحوار، قلت ببساطة: ظننت أن ذلك موعد عودتك فتعجبت من عدم رؤيتي لك من قبل.

اتسعت ابتسامته، قال ببساطة تغالب بسطاتي: إذًا أنت تنتظرين رؤيتي كل يوم.

خجلت، تبسمت وقلت: اعتدتها في ساعات الصباح الأولى، لكنها غريبة علي الآن.

صمتَ وصمَّتُ، لم أجد ما أخبره به، هل أخبره بأني سعيدة بتلك الصدفة أم ستكون وقاحة مني إن فعلت؟

قطع علي الصمت، سألني وكله مهتم: من أنت؟ أعرفك فقط بالتي تجلس غير كل الفتيات، تقرأ كتابًا، تعبر عن مشاعرها بملامحها، تندمج في صفحات كتابها كأنها تطالع مشهدًا مجسدًا لا كلمات مكتوبة، أراك بعضًا مني مجسدة في هيئة أنثى، لكن من أنت؟

أجبته بهمس خجل: أنا؟! لا يهم من أكون، أنا التي بعينك رأيتها مختلفة، فلأكن مختلفة، أنا فتاة ترى الجانب الأبعد في كل شيء، مميزة بنظرتك لأعماقي، وتحليلك لكينونتي، فقط هذه أنا.

كانت تلك محطته، نهض ليهبط من القطار، تطلع نحوي، قال بصوت يقطر عذوبة: فلنكمل اللقاء غدًا، أراك بالصباح الباكر.

وكأنه وعدني بإهدائي وردًا، تراقص قلبي، بل تراقصتُ كلي من داخلي، شعرت بأنه حلمًا وتحقق، ذلك اللقاء وكأنه وعد بالذهاب إلى الجنة، حتى سجني لم أشعر به، وحدتي صارت معبقة بالياسمين، فراشي الذي يحتضنني كان وكأنه يقرصني كي أظل مستيقظة،

جافاني النوم، تقلبت من الأرق، لكنه ذلك الأرق اللذيذ الذي يغزو عقلك ويرسم له بالألوان قوسًا مبهجًا من الأحلام، مثله كمثل قوس المطر.

قفزت من الفراش، قلت بيأس: لا نوم إذًا، فالنوم صار زائرًا أبيًا يخجل من ضيافتي.

أخرجت ملابسي الزاهية، تلك التي تشعرني بالكرنفال، حقيبتي المبهجة، وحذائي الأنيق، كيف لا وشمسي ستشرق غدًا حاملة إلى كرنفالًا مبهجًا اشتقته منذ الصغر، لكن ذلك الكرنفال يختلف، إنه ينبع من داخلي.

أعد المحطات المتبقية على محطته، كلي يشتاق الوصول، وبعضي يهفو الوصال، أرى الألوان مبهجة، عربة القطار الكئيبة صارت مبهجة، صوت القطار المزعج أصبح معزوفة جميلة من الألحان، حتى الروائح التي تمتزج بها العرق بالأجساد كانت كأنها حديقة من الورود، أنا غافلة عما يضايقني، كل الموجودات حولي صارت مبهجة كما الربيع بعد الشتاء، ورودي تفتحت على أغصان قلب جافة جفاف أشجار الخريف حين تتساقط أوارقها، ثم،،،

أمتزج كرنفال الألوان المبهج باللون الأحمر القاني، تحولت معزوفة عجلات القطار لصريخ وعويل، رؤيتي الوردية للألوان غلفها ضباب قاتم وأصوات تتوسل وأنا أتطاير من على الكرسي لأجدني على الأرض خارج العربة المقلوبة على جانبها كحصان جريح سقط في أثناء جريه في سباق حر بلا قيود، متى سقطت خارج العربة، بل كيف خرجت؟

لا أعلم، لكني علمت فيما بعد أن هذا كان من حسن حظي، فقد سقطت على الأرض خارج القضبان بينما من ظل داخل المقطورة تحول لمزيج مهترئ من الأجساد المتداخلة الملتحمة ببعضها، وكأن عناية الله تصر على حمايتي وحماية كرنفالي المبتهج أن يغتال.

مرت ساعة أو أقل، فحين المصائب تشعر بالثواني كأنها دهرًا ثقيلًا يمر كاتمًا على الأنفاس، هرج ومرج ،الكل يجري، عربات الإسعاف أتت أخيرًا وقبلها عربات الإطفاء، وأنا مشتتة مبعثرة، كلي لا يجد بعضه ،أرقد على الأض غير قادرة على الحراك، أصوات الجميع

حولي يسألونني كيف أشعر لكني لا أجيب ،أشعر أني منفصلة عمن حولي، أسمعهم ولا أفهمهم، بل كيف أفهم ما يعجز عقلي عن تخيله، وكأن ما حدث في خلال تلك اللحظات الأخيرة خارج كل إدراك.

تنهت على صوت حنون كغيمة رقيقة تحمل معها زخات من المطر، تصيب به روحًا جرداء فتبثها الإزهار، همس بأذني: ءأنت بخير؟

فتحت عيني بصعوبة، أراه ضبابي ككل الموجودات حولي، لكني ابتسم أم أتخيل بأني ابتسم، لا أدري فروحي هي من تفعل، همست بصوت خرج شاحبًا: مادمت بخير فأنا بخير.

مال نحوي هامساً بصوت يصلني ضعيفًا: لا تذهبي، لقد جئتك خصيصًا ما إن سمعت ما حدث، أملت أن أجدك بعد كل شيء، وها قد تحققت أمنيتي، أنت تتألمين ولكني لن أتركك، كوني معي.

اتسعت ابتسامتي، فتحت عيني هذه المرة، حدقت بوجهه الضبابي أحاول أن ألونه بفرشاتي الوردية، قلت بصوت غير مسموع له ومسموع لي: أنا معك إلى أن أموت.

لكنه تربع جواري على الأرض، قال بصوت حزين: لن تموتي، أتعرفين لم؟ لأننا بالأصل أموات على هيئة أحياء، أنت فقط من أشعرتني أننا مازلنا نعيش، نتألم ونحب، نبحث عن الشغف، أنت فقط من أشعرتني أن الحياة ربما يكن لها معنى مختلف عن الذي كنت أحياه، أنت تتألمين، وأنا أتألم لحالك ألف مرة، وأتألم لما أراه حولي عشرات الملايين، لذا دعيني أتشرب ذلك الألم وأدفنه ،أعيش بك ولك، دعيني أستعيد جزءً من إيماني بأن رصيدي من الحياة السعيدة لم ينفد بعد، دعيني أكن لك وتكوني لي، لا أعرف اسمك لكني أعرفك، أعرف روحك بين ملايين الأرواح التي قابلتها حتى وإن تفرقنا، روحك تلك التي تشبعني بالأمل، أشتهي أن أعرفك بكل تفاصيلك، أشتهي أن أكمل معك رحلة ربما تكن تعيسة لكنك ستجملينها مرة

بضحكتك ومرة بعبوسك، بملامح وجهك المعبرة تلك كالأطفال، لذا لا ترحلي، ظلي جواري وأعدك أن أسعدك.

أخيرًا اقترب المسعفون مني بعد أن أنقذوا من رأوا حاله أسوأ من حالي، كنت أقاوم الضباب المحيط بعقلي لأجله، نعم لأجله هو، لأجل ذلك الحنون الهادئ ذو القلب المرهف، ذلك الذي أتى خصيصًا لأجلي بالرغم من حادث القطار الذي يبعد عن محطته بمحطتين، ذلك الذي هرع لينادي المسعفين كي ينقذوني ويضمدوا جراحي السطحية والتي كانت معجزة لهم أن يروها وسط ذلك الكم التعيس من المصابين.

علمت بأن رصيدي من العافية عند الله باق، وأن رصيدي من الحب باق، وبأن رصيدي من الحياة لم ينته، وقد كان ذلك ما يُسْكِنُ قلبي بالطمأنينة والراحة ويدفعني لشكر من وهبني رصيد من النعم لم ينته بعد.

*****

اليقظة

دنيا علاء حسن

دلف أحمد من باب غرفته مُثقل الجسد، يترنح يَمنة ويَسرة كالغصن المنكسرالذي تضربه الرياح حتى تُسقطه أرضاً، ألقى بجسده الهزيل على سريره واحتضن وسادته بين أضلعه، أغمض عينيه المحاطتين بغيوم سوداء لبضع دقائق يلتقط أنفاسه المختنقة داخل حنجرته ثم فتح عينيه على سماء غرفته، ولاح بنظره إلى ساعة الحائط يراقب تعاقب عقاربها وكأنهم في صراع أو في سباق لم تحن نهايته بعد.

إنها الثانية بعد منتصف الليل وما غفت أمه لحظه حتى تنتهي من خبز بعض المعجنات فبمجرد أن تنسدل خيوط النهارتخرج للسوق تبيع ما صنعته يدها بثمنٍ بخس، هذا هو حالها كل ليله حتى أوشكت عظام ظهرها على الانحلال مُعلنة نفاذ رصيدها من التحمل، تلازمها عَبراتها على وجنتيها بدلاً من ابتسامة ثغرها التي دثرتها تحت تراب الذكريات ويسليها طوال ليلها أنين نحيبها وليست أغنية لأم كلثوم هذا ما اعتادت عليه الأرملة المسكينة بعد أن تركها زوجها تواجه تعب الحياة بمفردها دون أن يترك لها جدارأمنٍ تستند عليه فكل إرثها منه إبن عاق لايعرف شئ عن المسؤلية سوى حروفها الثمانية، ابنها الذي لطالما رأت فيه عزائها و جبرها الذي تنتظره من الدنيا ولكن كل آمالها قد تحطمت وتهشمت وبعد أن كان إبنها هو أملها الوحيد أصبح ألمها البغيض، حتى وظيفته أوشك على الرفد منها بسبب عدم إلتزامه.

ما زال أحمد بغرفته يتفقد هاتفه الجوال يفتش بين الأسماء على صديقه عاصم ليجري معه مكالمة بصوتٍ خافت وبهمهمة غيرمفهومٍ منها إلا أخر كلماتها وهو يقول :

-على الموعد

وكالعادة يخرج أحمد من بيته في هذا الوقت من الليل ولا يعود إلا وشمس الصباح تتوسط كبد السماء، خرج وأغلق الباب خلفه دون أن يتفوه بكلمة إلى أمه فمنذ متى وهو يلقي لها بالاً!

ساقته قدماه إلى بيت صديقه عاصم الذي دعا رفقائه ومن بينهم أحمد على سهره من تنسيق شياطينهم، قدم لهم عاصم زجاجات كحول إلى جانب بعض السجائرالتي تحوي بداخلها سموماً تفتت أحشائهم، تناول عاصم واحدة ووضعها بين أنامله فأشعلها وأعطاها إلى أحمد الذي التقطها منه بلهفة الجائع الذي أمسك برغيف خبزٍ، وضعها بين شفتيه وسحب دخانها الرمادي حتى امتلأت رئتيه ثم زفر بحنق حتى عبّأ الهواء حوله دخاناً لايدري هل هو دخان السجائر المشتعلة أم دخان ألسنة اللهب المنشوبة داخل صدره مدعياً أن تلك السهره ستخمدها، يحاول أن يعالج جرح قلبه فيتلف جميع بدنه، فحاله كحال الكثيرين ممن استسلموا لصعوبات الدنيا فسلموا لها أنفسهم الضعيفه وجعلوها فريسة لمتعة زائفة تُنسيهم مشاكل الحياة لبعض الوقت لكن لا تقدم لهم حلاً وسرعان ما تزول حاله النشوة التي تتركهم عليها ولكن ستأخذ معها شبابهم.

تابع أحمد التقاط تلك الأنفاس الملوثة ولفظها بقوة وكأنه يبصق معها أحزانه بينما يمسك بيده زجاجة الكحول التي أفرغها بالكامل داخل معدته، قضى الليلة بين الدخان والخمور والأغاني وأصوات الضحكات حتى نامو جميعاً سكارى فاقدين الوعي.

رجع أحمد إلى بيته بعد شروق الشمس فوجد أمه ما زالت في المطبخ والبيت ممتلئ برائحة الخبيز الطيبة، دخل إلى الحمام ليغتسل ثم عاد إلى المطبخ ليجد أمه ما زالت جاثية

بين الأواني والمعجنات مرصوصة داخلها فظن أنها لا تستطيع حملها لعلها أثقل هذه المرة، حاول أن يحمل عنها لأول مرة في حياته ولكن ليته أسرع في ذلك، اقترب منها قائلاً:

-اعطيني يدكِ يا أمي لأساعدك في النهوض وأحمل معكِ الأواني.

لكن لم يتلقى رداً منها، ظن أنها غفت من شدة التعب فحاول إيقاظها ولكن دون جدوى فقد فاضت روحها إلى بارئها، فكيف لها أن تحيا وقد ذبحها إبنها الوحيد بسكين الحسرة، سرعان ما اتصل بسيارة الإسعاف في محاولة أخيرة منه لإنقاذها ولكن قضاء الله قد وقع، ظل أحمد في حالة عدم استيعاب أنه فقد والدته إلى الأبد، فقدَ من كانت تحنو عليه وينهرها من كانت قلبها يتمزق لأجله دون أن يشعر، ماتت قبل أن يقرعينها ولو مرة، ذهب ليصلي عليها وكانت هذه أول مرة يصلي فيها وهي التي كان يأخذ بكلامها عرض الحائط في كل مرة تدعوه فيها إلى الصلاة، رحلت أمه وأخذت معها قلبه، وقف ليأخذ العزاء ولم يرى رفقائه الذي قضى سهرته ليلة أمسٍ معهم فأدرك لحظتها معنى الرفيق بعد أن تركته أغلى رفيقة، أدرك أنه لا خير فيمن يعاونك على الشر، لم يستطع أحمد دخول بيته وأمه ليست بداخله، ما زالت رائحة الخبيز تجوب أرجائه، لزم المسجد هذه الليلة ظل يبكي كالطفل الذي تاه من أمه، وقف يصلي ويناجي ربه وقلبه يعتصر من الحسرة والندم، عاد إلى ربه تائب يطلب الرحمه، وما إن أشرقت الشمس ودخل موعد ذهاب أمه إلى السوق كعادة كل يوم حتى ذهب إلى قبرها وجثى على ركبتيه، فاضت عينيه بالدموع، وضع رأسه على جدار قبرها في محاولة يائسة منه ليشعر بحنانها الذي حرم نفسه منه وقت ما كان متاحاً له، ثم حاول الحديث إليها قائلاً:

-سامحيني يا أمي، أعلم أني لم أكن الإبن البارالذي لطالما تمنيتيه، ولكن أعدُك أن أُصبح كما كنتِ تتمني، سامحيني أماتكِ الله فأحييتيني.

ثم أحس بنعومة يديها على وجنتيه وسمع صوتها الحنون يخترق أُذناه قائلة:

-انهض يا بني إنها السابعة صباحاً، اذهب إلى عملك ولو لمرة دون تأخير.

فتح عينيه ونظر في وجهها ثم انتفض قائماً ينظر يميناً ويساراً ليجد نفسه في غرفته وأمامه والدته تنظر إليه في عجب، أدرك أنه كان حُلماً، رسالة إنذار تُحي بداخله ما تبقى من إنسانيته، أمسك براحتها وقبّلها ثم قال لها بعينين دامعتين:

-حسناً يا أمي سأنهض من غفلتي.

*****

" سناجيبو والإنتقامُ المريع"

محمد العلوى الاسماعيلى

يُحكى أن سنجاباً اسمه "سناجيبو" يسكنُ الغاب، كان أصهب اللون يتخلل بطنه بعض البياض، ذو ذيل منفوش وشكل طريف، كان رشيقاً جدا يعيش على أقدم وأكبر شجرة بلوطٍ في الغابة، الا انه كان مغرورا فخورا بنفسه، لطالما اعتبر نفسه افضل من باقي حيوانات الغابة...

وفي احدى الأيام، كان بين أشجار البلوط يجمع زاد الشتاء، ويدندن ببعض الترنيمات الى ان وصل موطن القردة. فتقدم نحوه القرد "حلوان" وقال له:

-تمهل يا سناجيبو... انت تخرق قانون الغاب، هذا مكاننا ولا يسمح لك بالدخول اليه .

تعجرف سناجيبو وقال باستهزاء:

- أ تأكل القردة من أشجار البلوط؟ تنحى عن طريقي أيها السعدان العجوز.

فغضب حلوان مما لقاه من سناجيبو وقال له:

-سنجابٌ متهورٌ، ساءت اخلاقك مؤخرا... حمدا لله ان الشتاء قد اقترب وستصبح خمولا ونرتاح من ازعاجك وعجرفتك.

فنظر اليه سناجيبو وقد أحس بالإهانة، ثم عاد أدراجه وقلبه يشتعل حقدا وغلا على القردة... دخل وَكره وأخذ يصرخ ويغتاظ، ثم فكر في الانتقام من معشر القردة ككل، فلطالما كانوا منافسيه على قمم الأشجار... فدبر لهم مكيدة وانطلق في عصر اليوم التالي الى بركة ماءٍ كانت الحيوانات ترتوي منها وتقصدها إن عطشت، ويحضرها ملك الغابة الأسد "ضرغام"

ووزيراه النمر "يقظان" والذئب "سرحان" عصراً، للتنزه والحديث والارتواء، وكانت القردة تتكلف بحراسة البركة من قمم الاشجار.

ثم تسلق الشجر وانتظر قدوم الملك "ضرغام" ومن معه، وعندما غفلة القردة، وقد هَمَّ الملك بالشرب، قذف عليه بضع حبات من البلوط، ثم عاد مسرعا من حيث اتى، زمجر الملك ضرغام حتى علِم الجميعُ بأن مصيبة قد حلت في الغابة، وانطلق وزيراه سرحان ويقظان لجمع معشر القردة للحساب، وسؤالهم عن صاحب الفعلة الشنعاء، فأتى مقدم القردة وكبيرهم، القرد حلوان العجوز، ومَثَلَ بين يدي الملك ضرغام وكل حيوانات الغابة تشاهد ما سيحِلُ بالقردة وما سيحكم به الملك عليهم وعلى الفاعل ان عرفه، وبينهم سناجيبو ينظر لهم ساخرا وشامتا فيهم، وقد اصابته السعادة لما حل بمعشر القردة وتأكد بأن لا منجاة لهم منها.

فسأل الملك ضرغام القرد حلوان:

-من المسؤول عن هذا يا حلوان.

فقال القرد العجوز حِلوان وقد اكل الخوف قلبه:

-لا اعلم أيها الملك العظيم، لم تشاهد قردتنا أحدا لا في الأرض ولا في السماء.

فتحدث سناجيبو من بين الحشود دون ان يراه الملك:

- طبعا لن تشاهده ان كان منهم أصلا.

فزأر الأسد غاضبا والشرر يتطاير من عينيه وقد بدى له قول القائل وسط الحشود صائبا ثم قال:

- لتعلم الغابة منذ اليوم ان القردة منبوذون لا مكان لهم بيننا، فلا يتعامل معهم احد ولا يكلمهم احد، وان كانت لهم مساحة في قمم الأشجار فقسمها يا "سرحان" بين السناجب والطيور.

فحاول القرد حلوان الرد، فمنعه النمر"يقظان" وأشار له ان يصمت ولا يزيد الطين بلة... وبدأت القردة تصرخ حزنا وألما لما أصابها من امر عظيم، وما سيلحقهم من ضرر جسيم.

وبينما هم هكذا وقد شارفت الشمس على المغيب، اتى حكيمُ الغابة ومستشار الملكِ وصاحب الرأي المحمود بين حيوانات الغابة اجمعين، البومُ "رَزِين"، ومَثَلَ بين يدي الملك وبظهره القرد حلوان وقال:

-اعذرني أيها الملك السعيد، لم اسمع بما حدث إلا الآن.

فقال له الملك:

-مرحبا بصديقنا رزين، ولكن الا ترى اننا مشغولون.

فأجابه بصوتٍ وقور ساخر:

- تعلم أيها الملك ما بي من عمى في الصباح، والان وقت الغروب ونظري ضعيف ولكن لي رأي في قضيتكم.

فأطال الأسد ضرغام النظر للحضور وأذِن للبوم رزين بالحديث، فقال والحكمة ظاهرةٌ في صوته واضحة:

-اول الأمر أيها الملك السعيد، أنك ما رميت الا بالبلوط، والقردة ان رمت رمتك بثمارٍ تأكلها هي، فهذا ليس من صنيعها.

فاستحسن الملك قوله وأمره بأن يُتِمَّ، فحرك البوم رأسه بالإيجاب وأكمل قائلا:

- وثانيا، لقد اتى بيتي قبل أن احضر إليكم النسرُ "رفيق"، وأخبرني أنه شاهد سناجيبو يرميكم من أحد اغصان الأشجار.

فتغير لون سناجيبو بين الحضور، وحاول الفرار بسرعة بين الحشود من الحيوانات الناظرة له بدهشة، فلم يعرف أحدٌ كيف استطاع سنجاب ضعيفٌ هزيلٌ، لا طاقة له بالملك ضرغام أن يفعل هذا..

الا أن الوزيران قد اسرعا اليه وامسكوه بينما هو يحاول الهروب، وعندما وقف أمام الأسد الملك اعترف بذنبه وبأنه انما أراد ان يكيد للقردة لا أكثر ولا أقل، وأخبرهم بما حدث البارحة بينه وبين القرد حلوان..

فزأر الأسد في وجهه، وقرر ان ينفي معشر السناجيب ويعاقبهم أجمعين، الا ان البوم الحكيم رزين تدخل قائلا:

- ان خطأ الفرد لا تلام عليه الجماعة أيها الملك الشديد، وانه من الحكمة أن يكون النفي لسناجيبو وليس لكل معشر السناجيب، فهذا هو العدل وهذا قانون الغاب العادل.

فعلم الأسد صحة رأي البوم وامر بما قال، وعاقب القردة عقابا بسيطا على عدم انتباههم، وانفضت الحيوانات عن مجمع الملك، ونُقِل سناجيبو الى اطراف الغابة مطرودا منها، نادما على فعله وما جنته يداه عليه، وعلم ان الانتقام شرُ الخصال، وان الحقد والبغض من اسوء ما قد يحمله احدهم في صدره لصاحبه او رفيقه مهما كان الاختلاف، ولكن وقت الندم قد فات وقضي الأمر فيه ونفذ كلام الأسد الملك عليه.

فقال القرد حلوان للبوم رزين:

- الشكر لك أيها الحكيم رزين، كاد معشر القردة ان يهلك لولاك.

فأجابه البوم رزين مبتسما:

- لا يُظلم في غابتنا هذه احدٌ، ولا ينجوا بسوء فعله أحدٌ أيها الصديق القديم، فقد سيطر الحقد على قلب سناجيبو واعمى بصيرته وقاده الى سوء الفِعال... وهذه خاتمة من يحمل في قلبه سوءا، ولطالما قال اجدادنا من سكان الغابة الحكماء، أن من يحفر لأخيه حفرة يكون له ان يسقط فيها .

وعادت الغابة لأيامها المعتادة، وقد تعلمت الحيوانات درسا لن تنساه في الانتقام وعواقبه، والحقد واضراره، وعَلِمَ كافة الحيوانات أن العدل في الغابة سارٍ.

*****

الصَخْرة

أحمد مهدى نعمة

(لا بأس كل شيء سيكون افضل من السابق، احضرتُ لكِ ما طلبته، حسناً، الأن اودعك.)

احنى جسده أمامها كما الشخص المذنب، ليذهب بعدها في طريقٍ مغاير، خوفًا من تطفلِ احدهم، فسِره اصبح مُسَلَماً، خالياً من عيوب التماثل مع غيره. فما حصلَ من طلبه للطعامِ، جعل منه ظاهرة في نفسه ترتقي علو طموحه، فهو لم يصدق في البداية إن هكذا اشياء ممكن أن تحصُلَ مع طفلٍ عادي مثله.

*****

إعتاد الفتى ان يأخذ كرته ويذهب للعب بالقرب من ارضٍ زراعية تعود لشخص كان في ما مضى قاطع للطريق. الخشية تحتويه كلما ذهب للعب، حيث لم يكن هو الوحيد بل كان الأمر كما اللباس الرسمي يرتديه المارة من الناس عندما يفكرون بالمرور من أمام هذه الارض الزراعية.

مضى الوقت معه كما الضيف الثقيل فهو لم يكن مستمتعًا باللعب، الحذر، والريبة يأكلان فرصته في المرح، يقتفي بحرص مسار الكرة إن ابتعدت عنه قليلاً، ليحين في احد الأوقات وبشكل غير مقصود فرصة اللامبالاة، ناقلة كرته بعبثية، مبتعدة بها الى وسط أرض ضخم الجثة، لِيُتبع صوت سقوطها بصوت اخر هز جسده المُترقب.

(من فعل ذلك...؟)

كان صوتًا مرعبًا حَلَ بجسده كما الهزيم عندما يجتاح ليلة هادئة، لم يكن أمامه الا الاسراع بِخطواته الصغيرة شيئًا فشيئا لعله يبعد قبيح هذا الصوت عن مسمعه، لم يلبث ليبتعد حتى امتلئ بصره بتكتل جسماني ضخم ابتلعته قطعة من القماش المبتلة ببقع العرق، رفع يده، يستعد لضربه، أخفض معتز جسده الصغير بمرونة، مسرعاً باتجاه شحت فيه المخابئ، لم يكن هناك سوى صخرة يتيمة، كبيرة بعض الشيء قادرة على إخفاء جسده الصغير، فأختبأ.

حاول اسكات اندفاع نبضات قلبه معطيًا ظهره للجانب الرطب من الصخرة لعله ينال من لهيب جسده المرتعش، لم تمر الا ثوان معدودات حتى سمع خُطىً ثقيلةً تقترب، متبوعة بصرير أسنان قوية، (ربما سيقتلني او يكسر يدي او قدمي او لربما يجعل من جسدي سماداً لتربته اللعينة، ياللهي ماذا أفعل... ؟!) حديثه المحبط مع نفسه ينال منه، حتى أحس بشيء يحرك الصخرة، ظن في البداية انه الرجل الضخم لكن بعد ان توقفت الخطى وانتهى الصراخ احس بشيء اخر يعرقل تقدم الرجل الضخم اليه، لهاث واصطدام وصوت غريب أخر لم يعتد على سماعه، لم تكن لديه الشجاعة لرفع رأسه فبقى كالقرفصاء يناجي سره بالخلاص، انقضى وقت طويل لم يشعر بمروره، رفع رأسه قليلا من فوق حافة الصخرة، مُتسللاً برؤياه عبر ثقب صغير في حافة الصخرة، يشاهد بحذر، لتنفرد به المفاجئة، فمساحة الرمل القريبة كانت قد امتلأت بجسد هذا الضخم، مدمى، مرميًا كما الخردة، لم يصدق ما رأى، حتى اقترب منه ضارباً بقدمه شيئًا منه، قرب مسمعه من صدره لم يسمع نبضه، كان قلبه هامداً، بدا كأنه تخلص من حملٍ ثقيلٍ ارهق كاهله.

كل شيء مهيئ لبدء حياة جديدة مع جسد سليم من الاضرار. قبيل عودته الى البيت، ألقى نظرة سريعة الى الصخرة ليتذكر انها قد تحركت بشيء بسيط اثناء ما كان ضخم الجثة

يحاول الانقضاض عليه، فكر ملياً، تناسى الامر، منصرفا، يحمل على أكتافه فرحة النجاة كما الأجنحة الفتية.

انتشر بعدها خبر موت الرجل الضخم و ألاسبابُ كانت رفيقة دربه، فأنتشرت الأقاويل، فبعضهم نقل على ان كمية كبيرة من السم قد استوطنت احشائه مما ادى الى وفاته سريعاً، والآخرون قالوا انه مات متأثرا بفعل جراح بليغة أصيب بها...!.أسبابٌ كثيرة اضاعت فيها الحقيقة مفاتيحها عن رأسِ الصغير، لكنه كان متأكداً ان الجراح هي من كانت السبب (انا متأكد، لكن من يا ترى تسبب بذلك؟) أرهقه التفكير، دون الإتيان بشيءٍ جديد، مقرراً الرجوع بنفسه ليتأكد، رغم صعوبة الامر عليه، كون المكان اصبح اكثر خطورة على طفلٍ لم يتجاوز العاشرة من عمره، وخوفاً من الاصطدام مرة أخرى بضخم أخر أشد وطأة من السابق.

مضى أسبوع على الحادثة، لتعود به قدماه الى المكان نفسه، لكنه فوجئ هذه المرة بوجود عظام طير مجهول الهوية على مقربة منها، حيث كانت قريبة الشبه بعظام الدجاج (صخور تأكل الدجاج! يا اللهي؟) ليبتعد بعض الخطى، متأملاً، يبعد عن مخيلته بعضاً من غبار الاستفهام، مستذكرا كلام جدته وهي تقول

(تذكر يا بني ان المساعدة لا تأتي من دون فاعل له مآثر، حتى وان كان لا يتنفس كما الانسان...!)

حتى انقلب شكه الى يقين، حسب ما فسره من حديث جدته، حاصداً ثمار تفكيره

(ومن تكون غيرها، هي بلا شك...!) كما انطلقت من فمه، مردداً تلك الكلمات بكل حماسة وفخر كمن لاذ بحصيلة نهائية لاكتشاف كبير سيفردُ بكفةٍ خاصة به، مقترباً نحوها بِكُلِ ثقةٍ ملامسا إياها بأطرافه الصغيرة، ليأخذ به التوسل لعله ينال منها ما تطلبه مقابل جميلها الذي اسدته اليه، توسل وتوسل حتى اختفى ظل جسده، كان جواً من الصفاء

يحيط بفضاء مناجاته!، حتى خرج بنهاية لنفق الغرابة والشدة، ملتفتاً الى العظام (لربما تحب اكل الدجاج، يبدوا انها ارادت ان تطلب شيئا لكنها خَجِلت...!)

ذهب مسرعاً الى منزله، لم يستنفد وقتاً للعودة، حاملاً بقايا قطع من الدجاج فاضت من وجبة الغداء، وضعها ثم ادار لها ظهره، سارَ مبتعداً، مُخاطبًا سره (ربما تُحرج من مراقبتي لها!).

انقضى ليلٌ بأكمله و"منقذ الصغير" لم يَنم، يبذلُ ما احتوت عينيه من طاقة لسحب خيوط الصباح، حتى أنزلت حبال الديك الصوتية طاقة غريبة اخترقت جسده، في ساعةٍ متأخرةٍ لا يبلغ مقصدها سوى اصحاب الاعمال الحرة والشاقة ممن يُستَنفد منهم مُلكَ الطاقة والعمر. انطلق "منقذ "ليرى نتيجة فعله، الطقس كان هادئاً مع رياح صغيرة القوى. اقترب منها، لاحظ اختفاء ما وضعه البارحة من طعام، لم تبقى سوى عظام مبعثرة، فرح بما شاهد، لكنه ارتاب بعض الشيء، أمرٌ لم يفهمه، ثقبٌ لابأس بحجمه الى الجانب منها، حاول ان يعرف كيف نَتُج، لكن...، كان هناك سيلٌ من السعادة قد أفاضت به، لتغرقَ معه أهمية التفكير بالأمر.

إنقضت ايام كثيرة اعلن فيه الفتى الاستمرار في خدمته، فأخذ يجمع مصروفه اليومي لشراء ادوات الزينة و مواد خاصة بترميم وصيانة الاجزاء التالفة منها مع صنع سياج عازلٍ من الأسلاك الكهربائية التالفة، و زراعة محيطها ببعض النبتات الصغيرة، جاعلاً منها مزاراً خاصاً به، قاطعاً، ومؤمناً، بأن ماحصل هي احدى رسائل القلوب التي تنتاب الأنبياء، وابطال الكارتون.

*****

العادة ان يكون تواجده في البيت بعد اذان المغرب، هكذا رسم له والده القانون في المنزل، الا هذه المرة التي تأخر فيها. ليقتضي الأمر خروج إخوته للبحث في الجوار.

(لعله في بيت أحد اصدقائه او عند بائع الحلوى؟.) احد اخوته يحدث ابويه بغية زرع الاطمئنان في قلبيهما.

بحثوا كثيرًا، حيثُ لم يحصلوا على نتيجةٍ...!، منساقين في الشوارع والأزقة مرة أخرى، لعلهم يجدون أثراً، محاولة أخيرة، متفرقين بطُرقٍ مختلفة، عاقدين الأمل بحصد ثمار مشقتهم. ليقرر أحدهم المضي في طريقٍ يقربُ النهر الكبير الذي يشق مدينتهم نصفين، بحثَ داخل الارض الزراعية التابعة لقاطع الطريق اثناء مروره بها، فلم يجد غير قناني الكحول الفارغة وأعقاب السكائر المنتشرة بكثرة _الى جوار أريكة خشبية مهترئة_ كما براز الاغنام. واصل طريقه الى الأراضي المحيطة بالنهر حتى مضت معه الدقائق وهي ترتمي بأحضان دقائق اخرى بغية التماسك، خوفًا من عدمية الاستمرار، لتستكين بعدها عند سماع صوته وهو يصرخ، مفزوعاً، راكضاً، دمعه يحتل تجاعيد خده، هو يحملُ بيديه "منقذ الصغير" فاقداً للوعي، والدماء تسيل من رقبته، جراح وخدوش كثيرة، بدى كأنه نعجة صغيرة سقطت بين مجموعة ضباع. مليئ صراخ أخيه كُلَ الأرجاء

(الصخرة قتلت اخي الصغير...؟! الصخرة قتلت اخي معتز...؟!).

*****

ليلة فاصلة

مروى عبدالله مدين

من هذا الرجل الجالس بجواري خلف مقود السيارة؟! ومن أنا؟!

هكذا كنت أتساءل بيني وبين نفسي في طريقنا إلى ذلك الحفل... حفل عرس ابن أحد معارفه... كم أكره المجاملات! وددت لو مكثت في المنزل؛ لكنه أصر على الذهاب...

زوجي الحبيب... الحبيب؟! هل حقًا لازال حبيبًا؟! أمازال يحبني؟! حقيقة لا أدري... ولا أعلم كيف تحول ذاك الحب إلى ما نحن فيه الآن؟! ماذا حدث لتلك البساتين التي ازدهرت في قلوبنا؟! كيف تصحرت وقحُلت؟! أين ذاك النهر الذي روي أرواحنا؟! متى جف هكذا وتشقق قاعه؟!

كان جالسًا بجواري لكنه بعيد... كنت أتأمله لحظات أبحث فيها عن هويته... لعلني أعثر على هويتي معه؛ لكنه كان جامد الملامح كما كنت أنا باردة القلب! يملأني الملل وتفتتني الرتابة... فأعود لأتأمل الطريق الذي أحفظه عن ظهر قلب فربما يأتي هو بجديد! إلى متى سنظل هكذا يأكلنا الصمت ويبتلعنا السكون؟! الأسوأ من حدوث شيء ألا يحدث شيء هكذا هي حياتنا... ساكنة... ثابتة... رتيبة كبركة مياه راكدة... أصبحت رائحتها تلتف حول عنقي تكاد تزهق روحي... لم يعد من التأخير بد... حان وقت الرحيل... نعم سأبلغه قراري بعد عودتنا... ثم عدت لأتأمله للمرة الأخيرة فربما أرى لمحة من ذاك الشاب الذي أحببته وأحبني... الذي

غمرني بدفئه وحنانه، و علمني أن الحب حياة، يغرس في قلوبنا ألوان الربيع، ويغسل همومنا بزخات المطر... لكنه اختفى لم يعد له أثرًا!

وأين اختفت تلك الطفلة؟!

كيف كهلت وتجعد قلبها وهي لاتزال صبية؟!

أين رحل الشغف... واللهفة... والشوق؟!

كنت غارقة في أفكاري عندما اصطدمت السيارة بشيء واهتزت هزة عنيفة وخرجت مني صرخة فزع وسيطر زوجي على السيارة بصعوبة حتى أوقفها...

أسرعنا نترجل من السيارة لنرى ما حدث... وإذا بكلب ملقى على الأرض ينبح بصوت حاد يتخلله أنين وتنزف الدماء من قوائمه الخلفية... ثم أغمض عينيه وخفت صوته... وفجأة وعلى غير توقع رأيت ذلك الإنسان الآلي الذي كان يجلس بجواري منذ لحظات جامد الملامح، وهو يركع على الأرض بجوار الكلب ويرجوه بصوت متهدج:

لا تموت أرجوك... هيا قم... أنا لم أقصد أن أؤذيك... أنت من عبرت الطريق فجأة! لا تذهب أرجوك... لن أحتمل أن تموت أنت أيضًا! لا تعذبني! يكفي ما أنا فيه! هيا استيقظ.

كان صوته قد علا بالبكاء والصراخ... شعرت بصدمة للحظات...

ما هذا؟! ماذا يحدث؟! كيف تبدل هذا الرجل كأنه آخر في لحظة؟! أين اختفى ذلك الرجل القوي الذي تمر العاصفة من خلاله؛ فلا يتأثر بل يظل ثابتًا؟! كيف ذابت تلك القسوة التي تملكته منذ زمن؟!

خرجت من ذهولي؛ لكنني لا أفهم ما يحدث... وأمسكت بزوجي أهدئ من روعه... فقد شارف على الانهيار: ل

ا تقلق... اهدأ... اهدأ... سنأخذه إلى المشفى البيطري وسيكون بخير.

كان ينظر لي نظرات تائهة تبحث عن أمل... ورغم أني كنت أشعر به أنه في عالم آخر ... إلا أنه عندما رأى صدقي هز رأسه دليل الموافقة... جعلته يحمل الكلب الذي يئن من الألم وأجلسته في السيارة يحمله كأنه طفله... يمسد رأسه ويحدثه بكلمات بعضها مفهوم وبعضها مبهم:

أنت لن تموت هه... سنذهب بك إلى المشفى... تحمل ريكس لا تقلق لن أتركك... لا تخاف ستكون بخير...

ثم رأيت دمعاته تشارف على السقوط...

وأكمل يحدثه: أتذكر عندما وقعت من فوق الشجرة وظللت تنبح حتى أتى والدي ولم تتركني؟

وشرد بعينيه كأنه يرى ما حدث أمامه: كنت على وشك الموت لولاك! أنت أنقذت حياتي! اطمئن أنا لن أتركك.

كنت أقود السيارة وأنظر إليهما بين الحين والآخر... من هذا الريكس؟! عما يتحدث هذا الرجل؟! أهذا من فعل الصدمة! ولكن أي صدمة لرجل مثل هذا؟! لكنه ظل يحدثه ويرجوه:

إياك أن تتركني... يكفي مرة واحدة... أنت تعلم كم أحبك!... أرجوك لا تذهب... لا يمكنني خسارتك ثانية... يكفي ما حدث.... يكفي ما حدث!

لا أفهم ماذا يحدث ؟ كنت أشفق على زوجي إشفاقًا شديدًا من حالته تلك... فكنت أربت على يده بين الحين والحين وأخبره أن الأمور ستكون بخير... فينظر لي كمن يتعلق بأمل... ثم يعود لكلماته مرة أخرى.

ما شعرت يومًا بالخوف والقلق عليه مثل هذا الوقت... فقد اصفر وجهه، وأصبحت عيناه الآن شلالات من الدموع... وجسده يرتجف، وعيناه متشبثتان بصدر الكلب الذي مازال يتنفس... شعرت به طفلًا مذعورًا على وشك أن يفقد أحب وأغلى من لديه...

كنت أشعر وكأني أراه للمرة الأولى... وبعد نصف ساعة وصلنا إلى المشفى البيطري... كان زوجي في حالة من الانهيار لا يمكن معها حمل الكلب والولوج إلى المشفى... فأسرعتُ إلى المشفى أطلب من أحدهم المساعدة في حمل الكلب، وبالفعل خرج معي الممرض وحمله وأسرع به إلى الطبيب... أخذت بيده وساعدته للخروج من السيارة ودخلنا المشفى حتى يطمئن على الكلب... جلسنا في انتظار خروج الطبيب... زوجي في حالة من التوتر والقلق غارق في أفكاره بعيدًا وعينيه لا تغادر حجرة الطبيب فلم يستطع أن يقف مع الطبيب أثناء مداواة الكلب... ولكنه قرر الانتظار حتى ينهي الطبيب عمله، وأنا بجواره أربت على يده مرة وأخرى على كتفه فهز رأسه دون أن ينطق بكلمة... كنت أتأمله متسائلة... من أين خرج هذا الرجل؟! لقد رحل منذ سنوات... و رحلت معه رقته و حنانه... وظهر مكانهما اللامبالاة وعدم الاكتراث... زرع مسافات بيننا كلما حاولت اجتيازها... أغلق الطريق في وجهي... وردني خالية الوفاض... وكلما اقتربت كلما زاد البعد بيننا... كنت دائمًا ما أُلقي بتلك المسؤولية على نفسي... وأخبرها أنني سبب هذا البعد وأبحث عن السبب... أهي طريقتي لم تعد تعجبه؟! لكنني حاولت معه بأكثر من طريقة دون جدوى! أم لأننا تزوجنا منذ أكثر من عشر سنوات ولم ننجب؟! لكنه أخبرني مرات عدة أنه غير مهتم ولا يبالي بذلك! أم أنني أهملته؟! كيف وأنا أهتم بكل ما يخصه ويفرحه لكنه لا يهتم فقط كلمات شكر باردة تتركني أتلظى بنار الإهمال! أم أهملت نفسي؟! لم أفعل فأنا أحافظ على رشاقتي وأهتم بأناقتي فقط من أجله! حتى اليوم نظر لردائي نظرة موافقة ليس إلا ولم يتفوه بكلمة رغم جماله! فأعود مرة أخرى إلى البداية دون حل... أفقنا من أفكارنا عندما خرج الطبيب ليطمئننا... أخبرنا أن عموده الفقري قد كُسر... وضع زوجي يده على قلبه كأنه يقبض على الألم...

أكمل الطبيب: سيأخذ كثير من الوقت حتى يشفى ولا نعلم هل سيصاب بالشلل أم سيتمكن من المشي مرة أخرى! لكن حالته جيدة دون ذلك...

اطمئن زوجي وذهبنا إلى منزلنا الذي يبعد عن المشفى مقدار عشر دقائق... وعندما وصلنا إلى المنزل أدخلته الحمام لعل الماء الدافئ يزيل أثر توتره و يعيد إليه صفاء ذهنه، ويزيل أيضًا أثر الدماء ويغير ملابسه... عندما اغتسل كانت حالته أصبحت أفضل... صنعت له كوب من عصير الليمون حتى يهدأ تمامًا... ولأول مرة ينظر لي هذا المساء وكانت نظرته مليئة بشيء لم أره منذ زمن...

جلست بجواره وأمسكت بيديه:

ماذا حدث... أخبرني؟! أنا زوجتك... حبيبتك... من ريكس هذا؟!...

صمت مليًّا ظننت أنه لن يتكلم، ثم قرر أن يحكي لي وكأنه أراد أن يزيح هذا العبء عن صدره... فقال:

عندما كنت طفلًا صغيرًا كنت شديد التعلق بوالدي... كنت أحبه حبًا جمًا وكذلك هو... لكنه كان يغيب كثيرًا بسبب عمله. يا الله! إنه لم يحدثني مطلقًا عن والده سوى كلمات عابرة.

صمت قليلًا كأنه عاد إلى هذا الزمن وابتسم:

لطالما أردت كلبًا وكانت أمي دائمة الرفض فهي لا تحب الحيوانات... لكنه أهداني جرو صغير في عيد مولدي الثامن... وقد طرت فرحًا واستشاطت أمي غضبًا! لكنه هدأ من روعها وأقنعها بعدم إعادة الهدية واستبدالها...

زادت ابتسامته ثم بهتت وأخيرًا اختفت وأكمل:

كان هذا الجرو الصغير صديقي الوحيد... ألعب معه... يواسيني في حزني... كان بجواري دائمًا لا يتركني أبدًا... وعندما توفي والدي إثر أزمة قلبية مفاجئة... كنت حينها في العاشرة... ولم أستطع التصديق بموته...وانتابتني حالة من الرفض... كذلك رفضت الأكل واعتزلت في غرفتي... كان هو صديقي الذي لا يتركني لحظة واحدة... وعندما حاولت أمي فصله عني

نصحها الطبيب ألا تفعل... فقد يكون هذا الكلب علاجي! زاد ارتباطي به وحبي له فكلما رأيته... رأيت والدي يبتسم ويهديني إياه... عندما ألعب معه أرى أبي يلعب معنا... كان الذكرى الحية لوالدي بالنسبة لي.

صمت مدة طويلة هذه المرة حتى ظننت أنه اكتفى ولن يكمل حديثه وإذا به يستطرد قائلًا: وعندما كنت في الثالثة عشرة من عمري خرجنا لنتنزه سويًا كعادتنا... وإذا بسيارة مسرعة كادت أن تقتلني لولا ريكس... لا أعرف كيف تبادلنا الأماكن فاصطدمت به السيارة وفرت هاربة! كان صوته متهدجًا يسيل منه الألم كأنه يراه الآن... أكمل في انفعال وصوت غلبه البكاء: جلست بجواره أحاول إنقاذه لكن دون جدوى... فقد فارق الحياة؛ شعرت أنني... فقدت أبي للمرة الثانية! كما فقدت صديقي...

نظر لي ورأيت كأن داخله يحترق ثم أكمل: عندما حدث ما حدث الليلة... أسرعت إليَّ كل تلك الذكريات كأنها شريط يُعاد مرة بعد مرة...

مسحت على خديه برقة ثم سألته:

لماذا لم تخبرني بكل هذا من قبل؟!

فقال منفعلًا: لم أكن أريد استعادة كل هذا الألم مرة أخرى!

وأجهش بالبكاء فضممته إلى صدري وأخذت أهدهده كطفل صغير حتى هدأ... الآن فهمت لم كان يرفض دائمًا أن أحظى بقطة أو كلب في المنزل وكانت حجته دائمًا أنه لا يحب الحيوانات...

رفع رأسه و نظر لي بترجي:

سامحيني... أرجوكي!!

فنظرت له بتعجب: على أي شيء؟!

فاعتدل في جلسته وأطال النظر لي كأنه يصارع نفسه أيخبرني أم لا... وأخيرًا قال:

عندما فقدت أبي ثم ريكس وبعد ذلك أمي... تألمت كثيرًا وأخذت قرارًا... ألا أحب وأتعلق بأحد مرة أخرى... لكني أحببتك رغمًا عني! ولم أستطع البعد عنكِ...فتزوجتك... وكلما مر يوم تعلقت بكِ أكثر فأكثر! تملكني الخوف... بل الهلع... خِفتُ من فقدك أنت أيضًا! فحاولت الابتعاد... كدرع من الوقاية لقلبي المحطم... إذ ربما ذلك يجعلك باقية في حياتي... أو ربما إذا قررتِ فراقي لأي سبب لا يصيبني الألم... لكنني لن أتحمل فقدك... الآن أدركت ذلك! أنتِ الحياة بالنسبة لي... أرجوكي لا تتركيني!...

ضممته إليَّ وهمست له:

لم أكن أعلم ما يحدث ! ظننت أنك لم تعد تحبني! قهرتني لامبالاتك ومزقني إهمالك... كنت ألوم نفسي على فقدك هكذا وأنت معي... لن أسمح لك أن تفعل ذلك مرة أخرى... أنني أحبك... وسأظل بجوارك ولن أتركك أبدًا...

ظل هكذا يريح رأسه على قلبي حتى غط في نوم عميق... كان لديَّ الكثير من الأسئلة ولكنني أجلتها إلى وقت آخر... يا لها من ليلة فاصلة كانت بدايتها لا تبشر بخير؛ لكنها انتهت نهاية لم أكن أتوقعها... يكفيني أنني فهمت زوجي... ذاك الطفل المحطم الفؤاد... الذي يظن أن حبه لعنة عليه وعلى من يحب... فلا يجب أن يحب أو حتى يفكر في الاقتراب منه! لقد عاد لي مرة أخرى... ولكن لايزال خوفه يسيطر عليه ويمزقه... لكن اللّه- سبحانه وتعالى- لن يضيعنا... فاللهم لك الحمد والشكر على كل شيء فبحكمتك أنرت أرواحنا وجبرت قلوبنا.

*****

خاطرة خزائن النسيان

امانى السيد العطار

تدور سواقي طيات الذاكره مسرعه، تطفئ أسواق الأحاديث والكلمات، سوقا يلو الاخر، حتى يصمت الإستماع ويبقى الألم وحيدا ، تسانده الأهات والأوجاع.

يخترق الجسم ، فتدور تلك العجلات الهزيله،

داخل خزائن النسيان، حتى يسترجع الزمن رحيقها المؤلم،

وضحكاتها العقيمه، حرفا حرفا،

على أنغام وتر يتمزق بين أمواج الماضي والحاضر،

فيكتمل المستقبل كيفما يشاء القدر.

ليكتب سطورا لكتاب مفقود الهويه، يرتوي بأدمع ، بل

ملايين الثغرات المحتبسه بسلاسل الخطوات،

في طريق فقد الشروق مبكرا ، فأتاه الغروب دوما مسرعا،

دون أمل لبقاء أشعة تلك الشمس الحالمه.

يالها من خزائن معتمه.

*****